

باسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله على سيدنا محمد و آله
و صحبه و سلم

حمدا لمن له كل المحامد على الحقيقة*المزِين للأجباد بما كونه
من الدرة العقيقة*ذي التفضيل و الإحسان* الموصوف بالأسماء
الحسنى و الصفات الحسان*الأكرم الذي علم بالقلم علم
الإنسان*نحمده تعالى و نستغفره و نستنصره و نشكره بالقلب و
القالب و اللسان*ملقح الذهن العقيم و منقح الفهم السقيم حتى
أذعنت له العويصات و انقادت في أرسان*و الصلاة و السلام
على صفوته من خلقه المثنى على خُلُقِه و خَلَقِه المبعوث إلى
الأنس و الجان*و على آله بدور الغواصي و أصحابه نجوم
الداوي أولي اللطف و العطف و المنان* صلاة واطئ اللسان
فيها الجنان*و سلاما نستفتح به أبواب الجنان*المحصّب بالزمرد
الزبرجد و المرجان* و على من اقتفاهم من الأمة و شرفاء
أعيانها الأئمة بإحسان* من العلماء المنصفين* من دُونَ
الدواوين*من المصنفين الأعيان* المتردّين بأردية المحامد*و
المتصفيين بشيم الإكرام الأمجاد*ما بكى قطر و ابتسم زهر و
غرد طير بأفنان.

أما بعد فيقول أفقر الخلائق* و أسير العلائق* المذنب القاصر* محمد أبو رأس بن النَّاصر* يسّر الله عليه أسباب الاكتساب* و قصر في اليوم الأطول عليه الحساب* و واصل صيانتة* و أدلى على الخير إعانتة* إن الشعر ميزان الأدب* الذي خبّ في طلبه كل ما جد و دبّ* و زينة الألباب* و مودع الحكمة و فصل الخطاب* و سبيل مسلوك* و له موقع عند الخلفاء و الملوك* و مدحه في السنة شهير* و به محيت ذنوب كعب بن زهير* مع إعطائه البردة الغراء* المتداولة الآن عند الأمراء* و قد قرع عبد الملك الحجاج على عدم مراعاته الشعراء* و أعطى عمر بن عبد العزيز* جريرا مائة من الإبريز* في كتاب المبتدأ لأبي حذيفة¹ عن أبي إسحاق بسند له عنه | أنه قال "الشعر ديوان العرب ه" * و لذا دَوّن فيه غير ما ديوان* و أجلّوه على منصّة ذلك الإيوان* و شرحوه أفاضل أخبار* و وشّحوه بلطائف و أخبار* مما يصلح أن يكون لتخليد سره تاريخا* و يطلع في سماء التنويه به مشتريا و مريخا* و نشروا له من الفخر أعلاما* تنويها به و إعلاما* أجزل الله ثوابهم* و طهر من دنس المعاصي أثوابهم* و لله در القائل²:

¹ و هو إسحاق بن بشر بن محمد بن عبد الله بن سالم أبو حذيفة البخاري المتوفى سنة 206 هـ.

² و هو أبو الحسن الفخري الأندلسي.

فإن جهلت مكان الشعر من شرف* فأبي مكرمة³ أبقيت للعرب
لا سيما ما كان منه في مدح خير البشر* فإنه أسنا المسرات و
البشر* و كان ممن أشاد تلك المحاسن* و ورد من زلالها ماء
غير آسن* و نشر تلك المآثر و السنن* على أهدى سنن*
العلامة الزباني* سيدي سعيد بن عبد الله التلمساني* قدس الله
سره و حماه* و منحه الرضوان و حرس حماه* فلقد قلد جيد
الحضرة النبوية فخرا و أمداحا* و أدار على المسامع كؤوسا و
أقداحا* مما يطرب الأطباع و يذهب بها كل مذهب* و يستوجب
أن يكتب بذوب الذهب* لقد أبدع في ترتيب قوانينها أول و ثاني
و ثالث* فجاءت أشهى و أذ من نغمات المثاني و المثالث* و
هي و إن كانت من الشعر الملحون* فقد احتوت على غرائب و
عجائب من اللغة و البلاغة و اللحن* حتى انقادت توائم
القوائد إلى سحرها* و صارت واسطة عقد نحرها* و ما في
الملحون من بأس* فإنه في هذا العصر لسان⁴ الكثير من
الناس* و قد عاب ابن خلدون على كثير من مؤرخي إفريقية
المستعجمة* حيث تركوا رواية أشعارهم لما دخلها من اللحن و

³ أو: مأثرة.

⁴ م: 2 : شأن.

العجمة*فكان من ذلك تضييع أنسابهم و أيامهم* و طمس أخبارهم و أعلامهم.

هذا و قد سألتني من استولت محاسنها على لبه* و أخذت بشرائش قلبه* أن أجعل عليها شرحا يفصح عن تلك المقاصد و اللغات* و يذلل ما فيها من الأبيات الأبيات* و أن يكون باختصار* لداعية الضرورة إلى الاقتصار* و تنشيطا للإطلاع* و انتهازا لفرصة الانتفاع* فاستبعدت ذلك مني* و قلت إليكم عني* إن هذا الشيء حارت له الأئمة الكبار* و أعى الطبيب الحاذق فيه رمي المسبار* و كيف و أنا من جملة العوام* الذين هم مثل الهوام* فاطلبوا لهذا الأمر غيري* و اقبلوا عذري* فلجّوا في الإلحاح* لنيل الإمتياح* لظنهم أنهم استمطروا سحابا هامرا* و اتخذوا لتلك المهامه خريّتا ماهرا* و ما علموا أنهم استسمنوا ذا ورم* و نفخوا في غير ضرم* إلا إني أحببتهم* على ما بي من قصور* عن رضا تلك المعائل و القصور* و على الله ببركاته | أن يمنحني النباهة* و ينشطني من عقال الفهامة* فتصير ظلمة ذهني كشمس ضحى* و أن لا أجوع في الدارين و لا أعرى و لا أظمئ ولا أضحى* فإن الإنسان مثاب بنيته* و مجازي بحسن طويته* و لابس رداء سريرته.

لقد قال كعب في النبي قصيدة * و قلنا عسى في فضله نتشارك
*

فإن شملتنا في الجوائز رحمة * كرحمة كعب فهو كعب مبارك
فحركت تلك الدواعي كامن القريحة* و أتعبت الفكرة
المستريحة* و أعطيت النظر حقه* و أمطيت اليراع رقه* مما
سمح به الفكر الفاتر* و الفهم القاصر* و لولا المدد الإلهي و
التيسير* ما أمكن الخطو فيه فضلا على المسير* فكم من بالغ
في الذكاء الحد* و التفكير و الجد* و التحصيل و الكد* و الكتب
التي لم يحصيها العد* لم يهتد إلى فهمها سبيلا* و لا وجد على
حليها دليلا* بل أعيت معانيها من يعانيها* و قد قال الناظم فيما
يأتي "حد ما يعرف له مسلك منين ياويه"* و الله أسأل* و بنبيه
الوجيه عنده أتوسل* أن يلهمنا مباحث شريفة* و نكت لطيفة* و
تحقيقات غريبة* و تدقيقات عجيبة* و دلائل أنيقة* و مسائل
دقيقة* و أن يدركني من النور النبوي لمعة* و يوحد في ظهري
من سبحات القدس شمعة* حتى يتم شرحها بهذا المنوال* البعيد
المنال* و نوفق لتجزئه بهذا الطراز* الذي فيه مسحة من
الإعجاز* حتى يحل تراكيبها المشكلة* و يفتح وصانداها
المقفلة* طالبا من الألع النبيل* الأودع الجليل* أن ينظره بعين
الرضا* فطالما أصلى الفكر فيه جمر الغضا* و أتضرع إلى الله

أن يجعله في ميزان القبول* و أن يبلغ له المسئول و
المأمول* إنه بالإجابة جدير* و بما تكنه الضمائر خبير* و أن
يجعل تسويد هذه الصحائف يبيض غدا أسود تلك
الصحائف* فيكون غرس التمني قد أثمر عوده* و وفته وعوده* و
لاح نجم شهوده* في طالع سعوده* و انتهاء صعوده* إنه
المستعان* و ليس إلا عليه التكلان* و سميته "الدرّة الأنيقة في
شرح العقيقة"* و هذا أوان الشروع في المقصود* و اقتناص
المصيد المرصود.
قال الناظم رحمه الله:

كَيْفَ يَنْسَى قَلْبِي عَرَبَ الْعَفِيقِ وَ النَّبَانَ * وَ الْعَفِيقُ غَيُونِي
بِقَلَائِدِهِ أَنْهَلُو

لِي عَقِيلَةٌ مِنْهُمْ عُرًّا شَقِيقَةُ النَّبَانِ * هَلْ لِقَلْبِي مِنْهَا بَعْضُ
الْوَصَالِ هَلْ لَهُ

بَانَ صَبْرِي وَ السَّرُّ الْكَاتِمَةُ الصُّدْرَ بَانَ * كَيْفَ يَمْهَلُ دَمْعِي وَ
الْوَجْدُ لَا مَهْلَ لَهُ

أعلم أن الشعراء جرت عاداتهم قديما و حديثا أن يبدؤوا
قصائدهم في المدح و غيره بالتعزل و هو ذكر الأحباب و

وصف جمالهم و أيام وصالهم و دروس أطلالهم و الحنين إلى منازلهم و التشوق إلى لقاءهم و شكوى ألم فراقهم و غير ذلك مما يتعلق بالمحبة تنشيطا لنفوسهم و تهيجا فتطرب و يسهل عليها نظم الشعر. ألا ترى إلى كعب بن زهير في لاميته المشهورة التي أنشدها بين يدي النبي | و فيها من التشبيب ما يسبي لبّ اللبيب فلم ينكره | بل استحسناها و اهتز عند بعض أبياتها على ما ذكر في السير ثم أن الناظم تابعهم على ذلك فبدأ قصيدته بالتغزل الفائق و التشبيب الرائق و أطلال فيه لأنه تكلم فيه من هنا إلى قوله :

طِيبْ نَفْسَ خُلَيْلِي يَسْعَاكَ مَا سَعَانِي * ذَا الْمَقَامِ زَفِيعٌ بُلْغُنَا قَلِيلٌ

عَوْضُهُ

مَقَامُ طَةَ الْمَكِّي الخ

ثم قال :

هَذِي هِيَ الدِّيَارُ يَا بَاكِي الْأَرْسَامِ * عَرَّتْ يَدُ النَّسِيبِ لِلْمَدْحِ

غُطَّاهَا

كما يأتي إن شاء الله لأن النسيب هو التغزل و التشبيب و مقصوده بذلك غالبا محبوبه و هو ممدوحه | بدليل إتيانه برهطه

و هم العرب و أماكن بلاده | لأن "العقيق" واد على عشرة أميال
من المدينة المنورة و هو الذي أراده جرير بقوله :
فهيئات هيئات العقيق و أهله⁵ * و هيئات خل بالعقيق نواصله
و به عدة قصور لأبناء الصحابة رضي الله عنهم و به قصر
سعيد بن العاصي الأموي و قصر سعد أحد العشرة و به مات
سنة سبع و خمسين و حمل على أعناق الرجال و دفن بالبقيع و
هو آخرهم موتا و كان إذا فاض من المطر خرج أهل المدينة
كلهم له و قد غنى ابن عائشة به لسيدنا الحسن و من معه مائة
صوت كما لأبي الفرج الأصبهاني في كتابه الأغاني. و "البان"
موضع بالحجاز أيضا صرح به الشيخ خالد⁶ في شرحه على
"البردة". و "العقيق" الثاني خرز أحمر يكون باليمن و سواحل
بحر رومية فيه خطوط بيض خفية من تختم به سكنت روعته
عند الخصام و انقطع عنه الدم و "البان" الثاني شجر الخولان⁷
واحدة بانه زهره أصفر يصنع منه دهن و حبه نافع للبرص و
"بان" أول البيت الثالث بمعنى زال و الثاني بمعنى ظهر فهذا
كله من الجنس التام و أما "نهل" و "هل" و "مهل" فمن غيره و

⁵ و في المراجع الأدبية: و من به.

⁶ و هو خالد بن عبد الله الأزهرى المتوفى عام 905 و عنوان الكتاب هو " الزبدة في شرح قصيدة البردة".

⁷ في م 2 : شجرة الخولان أو أم غيلان.

أما البون بفتح فسكون كديتان باليمن أعلى و أسفل و فيها البير⁸
المعطلة و القصر المشيد المذكور في القرآن⁹.
تنبية: قال السيوطي في الإتقان¹⁰ "لم يقع الجنس التام في
القرآن إلا في موضعين الخ". و قال الخفاجي¹¹ على الشفاء "لم
يذكره أهل اللغة فلفظه مولد و اختلف هل هو بفتح الجيم أو
بكسرهما ه". و "كيف" أصل معناه الاستفهام الحقيقي لطلب
تصور الحال نحو كيف زيدا صحيح أو سقيم و المجازي نحو
كيف تكفرون بالله فإنه أخرج مخرج التعجب و منه كيف هنا في
الموضعين أي كيف ينسى قلبي عرب العقيق و عيوني منهلة
أي فائضة بدم أحمر كقلادة العقيق في نظمه و تتابعه. قال ابن
نباتة¹² :

إذا لم تفض عيني العقيق فلا رأيت * منازلها بالقرب تبهى و تبهر
و المراد يا عجا كيف "يمهل" أي يسكن دمي و الوجد و هو
شدة المحبة و العشق و الهيمان "لا مهل له" أي لا سكون له فقد
أخرج كيف مخرج التعجب في الموضعين و "القلادة" بكسر

⁸ و ربما أراد: الأبار.

⁹ ذكرت البروج المشيدة في سورة النساء الآية 78.

¹⁰ كتاب " الإتقان في علوم القرآن" لجلال الدين السيوطي العلامة المصري

المعروف (849-911ه).

¹¹ هو القاضي شهاب الدين الخفاجي المصري توفي سنة 1069هـ و عنوان شرحه " نسيم
الرياض في شرح شفاء القاضي عياض".

¹² ابن نباتة المصري (686-768ه).

القاف العقد المنظم من جواهر أو خرز و نحوه و إن كانت من
قرنفل يقال لها "سخاب". و "العقيلة" هي الكريمة على قومها و
قد تكون من غير النساء كقول طرفة¹³ :

أرى الموت يغنم الكرام و يصطفي * عقيلة مال الفاحش

المتلذذ¹⁴

و "الغراء" البيضاء و الأغر الأبيض من كل شيء من الأيام
الشديد الحرّ و الغرة بياض في جبهة الفرس. و "هل" للتمني و
"الوصال" الوداد ضد القطع. قال مسلم بن الوليد¹⁵ :

فأعرف منها الوصل في يمن طرفها * و أعرف منها القطع في

نظرها الشزر

و "هل" الثانية تأكيد الأولى أي هل لقلبي بعض وصلها هل له.
قال ابن ميادة¹⁶ :

ألا ليت شعري هل إلى أم جحدر * سبيل و أما الصبر عنها فلا

صبر

¹³ الشاعر طرفة بن العبد البكري الوائلي (86-60 ق.ه).

¹⁴ و في المراجع الشعرية: "أرى الموت يعتام الكرام و يصطفي * عقيلة مال الفاحش المتشدد".

¹⁵ و يلقب بصريع الغواني توفي سنة 208ه.

¹⁶ و هو الشاعر أبو شرحبيل الرماح بن أبرد الذبياني المتوفى في 149ه.

و معنى "و السر الكاتمه الصدر" أي الذي كتّمه الصدر "بان"
أي ظهر بانهلال دمعي. قال علي ابن الجهم¹⁷ :
ظهر دمعي فلا يكتّم شيئا * و استمر اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب أخفاه طيه * فاستدلوا عليه بالعنوان

تنبهات: الأوّل) قصيدة الناظم هذه تقرأ و تكتب على لحنها
فتقول "بَقْلَايْدُهُ" و "لِي عَقِيلَةَ" و نحو ذلك و هذا قصده فيها بدليل
ما يأتي من قوله "هَآكْ بَعْضُ أَخْبَارِ الْهَجْرَةِ بُلْفُظٌ مَلْحُونُ الْخ"
لتسهل للعوام كما تسهل للخواص و إلا فهو رحمه الله واسع الباع
كثير الإطلاع على كيفية العلوم و قد كان الإمام الشلوبيني¹⁸ لا
يراعي الإعراب فقال يوما لتلميذ له "اشترى لي كُرَافَسَ بَعْرُوْفُهُ" و
كذا الإمام ابن بري المصري¹⁹ كان لا يراعي ذلك فقال لتلميذه
"اشترى لي هندبا بعروْفُهُ" فقال التلميذ "هندبا بعروْقِهِ" فغير عليه
كلامه و قال له "لا تأخذه إلا بعروْفُهُ و إن لم يكن بعروْقُهُ فلا" و
كانت له ألفاظ من هذا الجنس لا يتوقف على إعرابها مع أنه
كان علامة عصره و نادرة مصره و حافظ وقته له حواشي فائقة
على الصحاح دلت على سعة علمه و غزارة مادته و عظم

¹⁷ تنسب الأبيات أيضا إلى العباس بن الأحنف و أبي نواس مع بعض التغيير في اللفظ.

¹⁸ هو العالم الأندلسي أبو علي عمر بن محمد الأزدي الشلوبيني(562-645هـ).

¹⁹ هو أبو محمد عبد الله بن برّي المقدسي المصري(499-582).

إطلاعهم و له حواشي على "درّة الغوّاص"²⁰ و غير ذلك. و كان القطب محمّد الهواري²¹ وضع كتاب "التّنبيه و السّهو" فلمّا وقع في يد عالم وهران الشيخ مقلّاش أصلح ما فيه من اللحن و أعلم الشيخ فغضب و قال له "هذا كتاب مقلّاش و أما كتاب الفقراء فيبقي على لحنه". و كذا كان ابن شعبان²² لا يراعي الإعراب و أما قول أبي حنيفة رضي الله عنه "لا قصاص بالمثل و لو بأبأ قبيس"²³ فهو لغة لا لحن و من لحن فيه فهو تحامل.

الثاني) المراد "بعرب العقيق" العرب المستعربة و هم ربيعة و مضر و أهل اليمن و أما العاربة كعاد و ثمود و طسم و جرهم و جديس و عبد يالل و السلفات فانقرضوا و قيل بعض أهل اليمن من قحطان و هو من العاربة و أما قول الخفاجي أبوهم قحطان و أمهم جرهم فغير ظاهر.

²⁰ للحريري صاحب المقامات.

²¹ سيدي الهواري دفين مدينة وهران(843).

²² و لعله يقصد شيخ المالكية أبو إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان المعروف بان القرطي صاحب " الزاهي" و " أحكام القرآن" و " مناقب مالك" و " المنسك" المتوفى في سنة 355هـ.

²³ قال الصفدي في "وافي الوفيات:" و لم يكن في أبو حنيفة رضي الله عنه ما يعاب به غير اللحن، فمن ذلك أن أبا عمرو بن العلاء المقرئ النحوي سأله عن القتل بالمثل، هل يوجب القود أو لا؟ فقال: لا، كما هو قاعدة أبي حنيفة في مذهبه خلافا للشافعي، فقال له أبو عمرو: و لو قتله بحجر المنجنيق؟ فقال له: و لو قتله بأبأ قبيس، يعني الجبل المطل على مكة، و قد اعتذر الناس له و قالوا: قال ذلك على لغة من يعرب الحروف الستة على أنها مقصورة."

الثالث) لم تخل بيت من هذه القصيدة من نوع من أنواع الجناس و كذا التزام ما لا يلزم و أما بقية أنواع البديع و الاستعارة و المجاز فتارة و تارة و لو تعرضنا لذلك كله لطال الشرح.

الزابع) قال شهاب الدين الخفاجي "الشعر أمر مسنون و معرفته فرض كفاية و المدح به جائز" و قال غيره "و لو شعر المولدين" و الله أعلم.

قال الناظم :

آه عَلَى مَنْ عَشِقَ وَ لَا نَالَ الْمَطْلُوبَ * قَلْبُهُ مِمَّا غَلَاظَ حُجَابِ
الصَّوْنِ عَلَيْهِ

وَ صَبَحَ مِمَّا لَقِيَ مِنْ الرَّاحَةِ مَسْلُوبَ * بِحَبَالِ الْوَاهِيَةِ يَدُ
الْحُسْنِ تَدْلِيهِ

الْغَالِبُ مَا عَرَفَ حَقِيقَةَ لِلْمَغْلُوبِ * مَا يَعْمَلُ بِدُنْيَتِهِ بِأَشْئِئِ
يَعْلَقُ بِأَبِ الرِّضَا وَ يَسْكُتُ وَ يَخْلِيهِ

ذا الذي يسميه عوام عصرنا "العروبي". و "آه" و "آواه" للمتوجع ثم استعملت لما يشبهه و هو التأسف و التحزن و هي أسم فعل و "العشق" إعلام المحبة و كذا الوجد و في القاموس عجب المحبوب بمحبوبه و إفراط الحب و يكون في عفاف و في دعاة أنظره. و المعنى أتأسف و أتحرزن على الذي عشق و ما نال المعشوق الذي طلبه و عدم نيله ذلك مما على قلبه من غليظ

الحجاب المصون أي المانع لما حجبه و "صبح" أي صار من أجل ما لقي من الحرمان مسلوب الرّاحة أي فاقدتها و ارتكب التعب و شدة النّصب فمن تعليلية في الموضوعين و "الواهية" الضعيفة و أيد الحسن من مجاز الاستعارة و التذلي ضد الصعود أي تذليّه في بئر الهجران و القطيعة و الغالب ما عرف حقيقة من غلب لعدم اكتراثه به فلم يعمل له في دنياه ما يسليه به يقال سلاه إذا أذهب حزنه بتطبيب خاطره و هذا لا يعمل معه إلا ما يحزنه و يغلق عنه باب العطف و الرضا و يسكت أي يتصامم عنه إذا استغاث به و "يخليّه" أي يتركه في مهامه الوله و الحزن. قال كثير:

و ما زلت من عزةً لدن أن عرفتها * لكالهائم المقصي بكل مذا
أي مذهب. قال جرير:

ألا أضحت حبالكم رماما * و أضحت منك شاسعة أماما
لطيفة: كان الرشيد غاضب جاريته مارية فأمر جعفر بن يحيى
البرمكي العباس بن الأحنف يعمل في ذلك شيئاً فعمل قوله :
راجع أحببتك الذين هجرتهم * إن المتيم قلما يتجنب
إن التجنب إن تناول منكما * دب السلو له فعزّ المطلب

و أمر إسحاق الموصلي فغنى بهما الرشيد فبادر إلى مارية
فترضها فأخبرت بالسبب فأمرت لكل من العباس و إسحاق
بعشرة آلاف درهم.

تتمة: فيمن عشق و لم ينل كان أبو العتاهية عشق عتبه جارية
المهدي و لم ينل شيئا و عروة بن حزام و غيرها.
قال الناظم :

سَأَقْتُ اِظْعَانَ غَرِيبِ الْمَاسِكَةِ زَمَامِي * مَنْ جَعَلَهَا اللهُ فِي
صَدْرِي الْحَرِيحِ نَبْرَاسِ
مَنْ دَرَى تَرَعَى كَيْفَ رَعِيَّتَهَا ذَمَامِي * وَ لَا يَنْهَنُّهَا عَنْ وَصْلِي
مَلَامَ حُرَّاسِ
فِي سَبِيلِ مُودَّتِهَا نَشْتَهُي حَمَامِي * عَسَى وَ عَلَّ نَبَعَتْ بِهَا
مَنْوَجَ الرَّاسِ

"الاظعان" جمع طعينة و هي المرأة ما دامت في الهودج و كذا
يقال للهودج فيه امرأة أم لا. و الذي في القموس أن جمع
الطعينة طُعن و طعائن و لعل ما هنا مسموع. قال في النهاية و
عريب مصغر عرب هو اسم جنس جمعي واحده عربي سموا به
لسكناهم ببلدة تسمى عَرَبَةَ كما قاله الأزهري و نسبه إلى يعرب
بن قحطان كما في اللباب²⁴ و "الماسكة" الأخذة و "الزمام" ما

²⁴ و هو " لب اللباب في تحرير الأنساب" للسيوطي.

يقاد به أي ساقط العرب أظعان محبوبتي التي مسكت بزمامي
بمعنى أنه مطاع لها لا يعصي لها أمرا لأن المحب لمن يحب
مطيع. التي جعل الله حبها في قلبي "نبراس" أي مصباح و
"الحريج" هو الشديد الضيق و أثبت لها أظعان لأنها عنده
كالرئيس عليهن فهن تبع لها بدليل قوله الأتي يوم أن سلفت. و
معنى "من درى" أي ليتني تحصل لي دراية و علم بأنها "ترعى"
أي تحفظ "ذمامي" أي حقّي و حرمتي كرعي أنا ذلك. قال أبو
ذؤيب الهذلي :

فإن تزعميني كنت أجهل فيكم * فإني شريت اللحم بعدك بالجهل
أي اشتريت اللحم بثمن و هو الجهل. و قوله "و لا ينهنها" أي
يزجرها "عن وصلي" أي محبتي لوم الحراس و هم الرقباء الذين
لا يتركون الحبيب يتمكن من محبوبه أي لا يصدّها عن المحبة
لوم الرقباء. قال البوصيري:

إن المحب عن العذال في صمم²⁵

و دليل ينهنها بمعنى ما مر. قول جرير:

هل ينهنك أن قتلن مرقشا * و ما فعلن بعروة بن حزام

و قول ملك بن رفيع :

أما تؤمن دمي و توعدي * و كنت امرء لا ينهنني الوعيد²⁶

²⁵ محضني النصح لكن ليس أسمعه * إن المحب عن العذال في صمم

و "المودة" من خالص المحبة و "الحمام" بكسر الحاء الموت و
"عسى و علّ" للترجي و "نبعث" مبني للمجهول أي نحشر يوم
القيامة بها أي بسبب محبتها على رأسي تاج ففيه إيماء للحديث
بأن أهل الجنة في زي الملوك و أول من لبس التاج من ملوك
الدنيا نمرود.

تتبيه: تمنى الناظم الجنة بالمحبة هو صفة بعض الكمال فقد
كانوا يرتاحون للعشق مع الاتصاف بغاية العفاف و النزاهة خوفا
من الله تعالى كما قال بعضهم:

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعني * منه الحياء و خوف الله و

الحدز²⁷

و لا شكّ أن هذا مما يوجب الكرامة في الدار الآخرة و قد قال
الإمام ابن داود رضي الله عنه :

أنزه في روض المحاسن مقلتي * و أمتع نفسي أن تتال المحرم

قال الناظم رحمه الله:

سَأَلَنِي عَنْهَا يَوْمَ أَنْ سَأَلْتُ بِالْأَطْعَانِ * مَنْ مَنَازِلُ بِنَشَةِ

لِلْمُنْحَى وَ تَلَّهُ

²⁶ و في ديوانه: أقادوا من دمي و توعدوني * و كنت و ما بنهنهني الوعيد

²⁷ قالها أبو عبد الله الواسطي.

فِي حَدُوجٍ كُتَائِبٍ تَسْعَى بِقَوْمٍ طَعَانٌ * لِلْوَعَى مَنِ الْأَجْفَانُ
سَيُوفُهُمْ اسْتَلُّوا

"سلفت" بمعنى تقدمت و "الاطعان" بالطاء المشالة مر معناه و
إن جمعه العرب ظعن و طعائن. قال امرؤ القيس:

تبصر خليلي هل ترى من طعائن * سواك نقبا بين حزمي

شعيب

و "بنشة" بالكسر مهموز علم على واد بطريق مكة إلى اليمامة
بأرض بني سلول فيه عدّة معادن و توصف أسوده بالجرأة. قال
سحيم بن وثيل²⁸ :

مررت على وادي السباع و لم أر * كواذي السباع حين يظلم
وادي

و "المنحنى" موضع قرب المدينة المنورة و "التل" التراب و
الكومة من الرمل و الرأبيب. و "الحدوج" بالحاء المهملة جمع
حدج من مراكب النساء و "الكتائب" جمع كتيبة و هي جماعة
الخيال إذا غارت من المائة إلى الألف و "تسعى" بمعنى تعدوا
بقوم طعان "بالارماح" و "الوعى" الحرب و "الجفن" غمد السيف
و أراد هنا جفن العين ففيه من بديع الاستعارة ما لا يخفى لأنه
شبه النساء في الحدوج بكتائب الفرسان و شبه أعينهن برماح

²⁸ و ينسب الكلام أيضا إلى السفاح بن بكير.

يطعن بها و بسيوف استلت للضرب و الجامع التأثير لأن الرمح
و السيف يؤثر في الجسد و لحظ النساء يؤثر في القلب كما قال
الشاعر :

محاسنها سهام المنايا * مريشة بأنواع الخطوب
يرمي ريب الزمان لها سهاماً * تصيب بنصلها مهج القلوب
و كقول الأخر:

جريح بسهم اللحظ من مقلتي هند
و معنى كلامه إن شككت فيها ادعيت فاسألني عن المحبوبة
يوم تقدمت بالنساء في الحدوج من منازل بثشة
و ما معها الخ أخبرك بذلك. قال الناظم:

فَقَاتَ غَرِيبٌ نَجْدَ غَظِيَّةِ الْأَتْرَابِ * مَنْ بِالسَّلَامِ الْمَلِكِ الْأَعْظَمِ
حَيَّاهَا

رَفَّرَقَ دُونَهَا عَلَى الْغَيْطَانِ سَرَابٌ * وَ صَبَى ذِيكَ الْفُجُوجَ تَنْشُرُ
رِيَّاهَا

بَجَحَافِلِهَا تَسِيرُ وَ تَبَاهِي الْأَعْرَابِ * بَيْنَ تُلُوجِ الْحَجَازِ تَرَعَى
وَطِيَّاهَا

فِي الْأَحْلَاكِ الْوُفُودُ تَسْرِي بَصْنِيَّاهَا

معنى "فقات" اقتصت و ذهبت بها و "نجد" اسم إقليم أعلاه
تهامة و اليمن و أسفله العراق و الشام و أوله من جهة الحجاز

ذات عرق و "عقيلة" كسفينة المرأة الكريمة المخدرة و أعقل كل شيء أكرمه و "التراب" جمع ترب من ولد في وقت ولادتك و في التنزيل ﴿ و كواعب أترابا ﴾²⁹ و "المليك الأعظم" الخليفة أي أن هذه المحبوبة لتتاهيها في المجد و الكمال حيّاها أمير المؤمنين و التحية السلام. و أول من لقب بالملك الأعظم من ملوك هذه الأمة السلطان سنجر بن السلطان ألب أرسلان السلجوقي و أبا العلماء هذا اللقب كمالك الملوك و سلطان السلاطين و قاضي القضاة لأن لا يطلق إلا على الله تعالى و لذا قال بعض هذا في البيت الشريف و تحية الله لها كما يليق به سبحانه. و معنى "رقرق" تحرك و "الغيطان" جمع غوط بفتح الغين و هو ما استوى من الأرض و "السراب" هو الآل الذي يرى كهيئة الماء و مراده وصف بعدهم. لطيفة: ذكر ابن عبد ربّه³⁰ في كتاب العقد كتب ملك الروم لعله مصحح الأصل إلى معاوية أن يخبره عن الشيء و لا شيء فعرف الشيء و لم يعرف اللاتشيء فقال عمرو بن العاصي أبعث برذونا لسوق الكوفة فإذا أتى علي ابن أبي طالب يسوم الخيل فإذا قال لبائعه بكم تبعه فيقول له بلا شيء. فيأتينا بالجواب ففعل فلما وقف

²⁹ السورة 78/الآية 33.

³⁰ و هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي صاحب كتاب "العقد الفريد" المتوفى سنة 328هـ.

عليه علي رضي الله عنه فقال بكم تبعه قال بلا شيء فقال لبائعه ناولنيه و قال لغلامه قنبر أذهب إلى السراب و سلمه له فهو لاشيء. قال تعالى ﴿يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾³¹. و قوله "و صبي" أي الصبا و هي الريح الشرقية و "ذيك" اسم إشارة للمؤنث البعيد و "الفج" الطريق الواسع بين جبلين و "تتشر" تثب و "الري" الرائحة الطيبة و هي صفة غلبت عليها الاسمية و الأصل رائحة ريا أي مملوءة طيبا كما لابن هشام خلافا لابن مالك و ولده من أن ريا اسم و "الجحافل" بتقديم الجيم واحدة جحفل الجيش الكثير. قال عنتره العبسي:

سلي فزارة عن فعلي و قد نفرت * في جحفل حافل كالعارض

الهطل

و "تباهى" تفاخر و "الاعراب" سكان البادية و هو في الأصل جمع ثم صار علما لهؤلاء كالأنصار و لذا نسب له بلفظه كما قال الراغب³² و "التلول" جمع تل و هو التراب كما مر و المراد "بوطياها" أرضها المستوية و "الحالك" ما اشتدّ سواده و "الوفود" جمع وفد و هم القادمون على ملك و نحوه و "تسري" أي تمشي بالليل على ضياء محبوبته. قال القاضي عبد الوهّاب:

³¹س.24/آ.39.
³² و هو الراغب الأصفهاني صاحب كتاب " محاضرات الأدباء و محاورات الشعراء و البلغاء". توفي سنة 502هـ.

و محجوبة في الخدر عن كل ناظر * و لو برزت في الليل ما
ضل من يسري³³

غريبة: جلس المظفر الواعظ ببغداد يذكر فضائل علي رضي الله
عنه و رد الشمس له فنشأت سحابة عظيمة غطت الشمس.
فأنشد ارتجالاً:

لا تغرب يا شمس حتى ينتهي * مدحي لأحمد النبي و لنجله
و أثني عنانك إن أردت ثناءهم * أنسيت إذا كان الوقوف لأجله
فإذ بالشمس طلعت تحت الغيم فلا يدري ذلك اليوم ما رمي عليه
من النقود و الثياب و مثله. إن الشيخ عبد القادر الجيلاني نفعنا
الله به جلس للوعظ فأتى مطر غزير فصار الناس يتفرقون فقال
"يا مطر أنا نجمع و أنت تفرق" فانقطع من فوره.
قال الناظم:

أَيْنَ سَارَتْ بِالْحُسْنِ الْفَائِقِ الْبُؤَازِلُ * وَاشْ مِنْ وَادٍ بِأَمِّ الْفَضْلِ
خَوَّضَتْ مَاهُ
بَعْدَتْ يَا وَيْحِي الْأَعْرَابُ بِالْمَنَازِلِ * تَعَبَ قَلْبِي خَلْفَ عَجَاجِ
الْهَجَانِ وَ ظَمَاهُ
بَعْدَ غُصْنِ الْبَانِ الْمِيَّاسِ مِنْ نَعَازِلِ * مَنْ نَلَّاطَفَ وَقْتُ الشَّدَّةِ
وَ تَدَخَّلَ حِمَاهُ

³³ تنسب كذلك إلى العباس بن الأحنف و ديك الجن.

"أين" اسم استفهام عن المكان و "البوازل" جمع بازل و هو الجمل الذي له سبع سنين فوق و العود بفتح العين هو الذي جاوز سن البازل كذا في تصريح الشيخ خالد و في القاموس "بزل نابُ البعير بزلا و بزولا طلع و ذلك في تاسع سنينه و ليس بعده سن يسمى به هـ" و قوله "واش" بمعنى أيُّ و "الواد" هنا النهر بدليل ذكر الخوض و إلا فالواد هو المفرج بين جبال و تلال أو أكام و المعنى و أي نهر "خوضت" أي خاضت البوازل ماءه بأَم الفضل كنية محبوبته و هي ذات الحسن الفائق و "ويح" كلمة ترحم يقولها المتألم المتحزن و تقال له. قال البغدادي "أخرج أبو نعيم أن الويح باب رحمة و الويل باب عذاب". و "المنازل" محل نزول محبوبته و "التعب" ضد الراحة و "خلف" ضد أمام و أمّا وراء فتارة تكون ضد أمام و تارة بمعناه كقوله تعالى ﴿ و كان وراءهم ملك ﴾³⁴ و ﴿من وراءه عذاب غليظ﴾³⁵. و "العجاج" بفتح العين الغبار. قال المعتمد بن عباد لما اشتدّ القتال في غزوة الزلافة و جرح و كان تذكر ابنا له يسمى أبا هاشم :

أبا هاشم هشمتي الشفار * فله شوقي لذاك الأوار
 ذكرت شخصيك تحت العجاج * فلم يثنني ذكره للفرار³⁶

³⁴س.18. 79/1.

³⁵س.14. 17/1.

³⁶ و تنسب كذلك إلى ابن حمديس .

و "الهجان" جمع هجين المهري الأبيض النجيب و في العين³⁷
"الهيجان من الإبل البيض الكرام يقع على الواحد فما فوقه و
على الذكر و الأنتى و من الناس من أبوه خير من أمه و الرجل
الحسيب". و منه قول حسّان :

تسائل عن قوم هجان سميدع * لدى البأس مغرار الصباح

جسور

و "الظماء" العطش و "البان" مر معناه فشبه محبوبته في رشاقة
القد و التمايل و الهيفان و "المياس" المتبخر و "نغازل" نحات
و "نلاطف" نغامز و أراد بـ"وقت الشدة" شدة الحبّ و "الحمى" ما
يمنع من السوء.

لطيفة: اجتمع نسوة حسان إلى قيس بن الملوح فقلن له ما الذي
دعاك إلى هذا الكلف بليلى حتى أهلكت نفسك في هواها و ما
هي إلا كسائر النساء فهل لك أن تصرف هواها إلى إحدانا
فتواصلك و تعطف عليك. فقال لا أقدر على أن أهوى غيرها.
فقلن له ما أعجبك منها فقال كل ما أرى منها حسنا و لقد
جهدت أن يقبح شيء منها بين عيني فلم أجد فقلن له صفها لنا
فقال:

بيضاء خالصة البياض كأنها * قمر توسط جناح ليل مبرد

³⁷ "كتاب العين" للخليل.

موسومة بالحسن ذات حواسد * إن الجبال مظنة للحسد
فقمنا و تركناه لأن من استحوذ حب شيء على قلبه لا يكثر
بغيره كما قال الناظم رحمه الله تعالى:

غَيْرَهَا مَا يَسْحَرُ قَلْبِي جَمَالَ فَتَانٍ * صَوْنٌ لِمَحَبَّتِهَا مِنْ ضَمْنِي
نَمْلُهُ

يَبَاتُ مَدْرَارَ الدَّمْعِ مِنَ الْغُيُونِ هَتَانٍ * كُلُّ مَا سَأَلَ الطَّرْفُ مِنْ
الهُوَى كَمْلُهُ

"ما يسحر قلبي" أي ما يخدعه جمال كثير الفتنة للقلوب غير
جمالها و كل من ضمنى إليه و استجلبنى بمحبته "نملهُ" أي
نسأله صونا لمحبتها و جلبا لمودتها و ما أرى جمالا يعدل
جمالها. قال جرير:

إذا سايرت أسماء يوما طعينة * فأسماء من تلك الطعينة أملح
و كان الإمام الفراء كثيرا ما ينشد قول الشاعر:

و ما نبالي إذا ما كنت جارتنا * ألا يجاورنا إلاك ديار³⁸

و ما أحسن قول الصّوفي :

جنوني بكم حكم و غيبي رشد * و حب الورى هزل و حكيم جدّ

³⁸ ينسب إلى ثعلب.

رضيت بما ألقاه في السخط و الرضا * و لو كان سمًا فهو من

أجلكم شهد

و حَقَم ما سرنى من سواكم * دنوّ و لا من غيركم ساءنى بعد

و لا سمحت بالصبر عنكم حشاشتى * و لا بخلت بالدمع

أعبنى³⁹ الرمد

و إنى لا هوى الشوق حتى كأنما * على كبدي من حر نيرانكم

جمر

و استنشق الأرياح من نحو أرضكم * و أسأل عنكم من يروح و

من يغدُ

فحنوا و جودوا و أرحموا و تعطفوا * و كونوا كما شئتم فما منكم

بد

و "المدرار" كثير الدر بمعنى السيلان و "الهتان" الهطال و في

القاموس "أو هو فوق الهطل أو الضعيف الدائم" أنظره.

و "الطرف" بفتح الطاء العين و "سال" بمعنى طلب و "الهوى" ما

تحب النفس أي كل ما طلبت عيني من هوى المحبوبة كمل لها

و تمّ. قال قيس بن ذريح يخاطب قلبه:

فمت كمدا أو عش حزينا فإنما * تكلفني ما لا أراك تطيق

و قال كثير:

³⁹ م 3: أجفاني

و ما كنت أدري قبل عزة ما الهوى * و لا موجعات القلب حتى
تولّت

و بين "فتان" و "هتان" تجنيس التوصيف و معنى "كمل" كمل
له.

قال الناظم:

مَنْ يُوْصَلُ غُرْبَتِي إِذَا صَرَمْتُ الْأَحْبَالَ * ذَاتَ الطَّرْفِ الْكُحَيْلِ وَ
الْخَدُّ السَّاهِلُ

بِمَحَبَّتِهَا بَقِيْتُ نَصْفَارٌ وَ نَذْبَالٌ * مَثْلُ الْيُرْقَانَ وَ الْعَقْلُ مَنِي
ذَاهِلٌ

مَجْنُونُ الْعَشْقِ حَدٌّ مَا سَامَهُ بِهِبَالٌ * وَأَنَا مِنْهُ زَوِيْتُ بَحْفَانِي
نَاهِلٌ

رَافِعُ حَمَلِ الْهُوَى بِرَاسِي وَ الْكَاهِلُ

"من" اسم استفهام و "الوصل" ضد القطع و المراد بـ"الاحبال"
أحبال المودّة و "صرمها" قطعها و به تكون الغربة و "الخد"
معروف و "الساهل" بالهاء الحسن المنظر المتوسط اللحم الذي
لا جهومة فيه و "الطرف" العين أي إذا قطعت ذات الطرف
الكحيل و الخد الناعم الأمرد حبال مودتي و حل بذلك ولهي و
غربتي من يصل تلك الغربة و بقيت حينئذ "نصفار" و "نذبال"
بإشباع الفتحة مثل الزرع الأخضر الذي أصابه "اليرقان" و هي

آفة يتغير منها و "ذاهل" أي ناس بعد التفكير و مجنون العشق
معروف عند العرب كمجنون ليلي و غيرها أي أنه سلبه حتى
صار كالمجنون و "سمّاه" بمعنى وصفه و "الهبال" الحمق و
"النهل" الشرب الأول و العال الشرب الثّاني و أصله للإبل و
قوله "بحفاني" بالحاء المهملة أي بيديّ معا على أن نهل كل
واحدة حُفنة على أن أقلّ الجمع إثتان و "الكاهل" بوزن فاعل و
هو ما يلي العنق من أعلا الظهر كما للخيل و أعلم أن العشاق
في كلفة من تحمل الهوى كما قال عروة بن حزام :

تحملت من عفراء ما لا أطيقه * و لا للجبال الراسيات يدان

و قال قيس بن الملوح:

و ادع دعا إذ نحن بالخيف من منى * فهيج أشجان الفؤاد و ما

يدري

دعا باسم ليلي غيرها فكأنها * أطار بليلى كامنا كان في صدري

و كان عشقها و هما صغيران يرعيان صغار الغنم فلما كبرا
حجب عنها فقال:

تعلقت ليلي و هي ذات دؤابة * و لم بيد للأتراب من ثديها حجم

صغيرين نرعى البهم يا ليت أننا * إلى اليوم لم نكبر و لم تكبر

البهم

و قال أيضا:

يا ويح من أمسى يخلّس عقله * فأصبح مذهوبا به كل مذهب
فلم أر ليلي بعد موقف ساعة * بخيف منى ترمي جمار
المحصب⁴⁰

قال الناظم:

لَوْ حَمَلْتُ جَبَلَ رَضْوَى خَفُّ مَنْ هَوَاهَا * لَوْ طَرَحْتُ هَوَاهَا فِي
الزَّمْهَرِيرِ يَهْوَى
لَا عَدَابَ عَلَى قَلْبِي شَدَّ مَنْ نَوَاهَا * إِذَا تَبَاعَدَنِي مَا لِي فِي
الْحَيَاةِ شَهْوَةٌ
صَحِيفَةُ الْحُبِّ يَمِينِي دُونَهَا طَوَاهَا * مَا بَقَالِي مَنْ نَعَشَقُ دُونَهَا
و نَهْوَى

"رضوى" بفتح الراء مقصور علم على جبل غربي المدينة المنورة على مرحلتين و به كانت ضياع سيدنا محمد بن الحنفية رضي الله عنه و قبره بالطائف و زعمت الشيعة أنه حي في الجبل المذكور و هو المهدي في زعمهم و عند الإمامية أن المهدي يخرج من السرداب الذي بسرّ من رأى أحد مدن العراق و "الطرح" الإلقاء و "الزمهير" أراد به هنا الريح العاصف أي إني

⁴⁰ ينسب البيت الأخير إلى نصيب بن رباح.

لو طرحت هواها في الزمهرير الذي عليه الأرض و ما عليها
لهون به و ما حمله لثقله و "النوى" الحزن الذي ينشأ عن الفراق
و "الصحيفة" معروفة و أضافها للحب لأن المحبة لتأكدها بينهما
كأنها كتبت في صحيفة و أنه طوي صحائف الحب بيمينه عن
غيرها أي أنه أعرض عن ذلك فلم يبق له من يعشق و يهوى
غيرها و أما صحيفتها فهي منشورة لم تطو و محبتها لم تتجدد.
قال قيس ابن الملوح في ليلى:

مأحبها حب التي كن قبلها * و حلت مكانا لم يكن حل من
قبل

و قال القرقي:

حملنا من الزمان ما لا نطيقه * كما حمل العظم الكسير
العصائب⁴¹

قال الناظم :

أَيْنَ مَرَبَاعٍ عَرَبِيَّهَا مِنْ صَرِيمِ عُرْفَانَ * فِيهِ قَبْلُ الْيَوْمِ بَسَتْ
الْمُلُوكُ حَلُوا
هَكَذَا يَبْقَى قَلْبِي بِالْفِرَاقِ لَهْفَانَ * كُلُّ مَا تَرَبَّطَ كُرَهُ يَدُ النَّوَى
نَحَلُهُ

⁴¹ قاله الشاعر إبراهيم الغزي.

"المرباع" هنا مطلق المنزل و "الصريم" القطعة من معظم الرمل كما في القموس و "عُزفان" بضم العين و تبدل السين من الزاي المعجمة موضع على مرحلتين من مكة بطريق المدينة و ماء أباره من أحلى المياه و هو أول موضع صليت فيه صلاة الخوف على هيأتها المخصوصة. و معنى "ست الملوك" أي سيدتهم و قوله "هكذا الخ" أي لا يزال قلبي كما تراه "لهفانا" أي "ظاميا" بسبب الفراق و النوى إلى أن يجتمع الشمل و تمن علي بالوصل و ما من أمر ربطته من محبتها أو شيء عقدته من وصلها إلا حلتته يد النوى أي الفراق كرها من غير اختيار مني فلذا دام تلهفي و تحسري.

قَضَاتٍ أَوْطَأَهَا الْبُؤَادِي مَنْ الْأَمْطَارُ * بَعْدَ الْفُضَا انْتَحَى اللُّوَا
بَبِنَاتِ الشَّوْلُ
مَرَّتْ تَرَعَى الْعَفَا وَ مَا تَرَضَى الْأَبْصَارُ * حِينَ أَنْ ضَحَكَتْ مَعَ
الرُّكَامِ اتَّعَازَ الْحَوْلِ
رَحَلُوا وَجْهَ النَّهَارِ مَا عَرَفُوا مَا صَارَ * بَغْرِيْبِ دِيَارِهِمْ وَ مَا لَقِيَ
مَنْ هَوْلُ
مَنْ يَوْمَ فَرَأَتْهُمْ خَرَسَ مَا يَفْهَمُ قَوْلُ

"الوطر" الحاجة و "البوادي" سكان البادية ضد الحضري الساكن
الأمصار أي المدن و "انتحى" زال و "اللواء" علم أصغر من
الراية و قال أبو ذر الخشني "اللواء ما كان مستطيلا و الراية ما
كانت مربعة ه". و كيهما يحمل في الحرب.

تتبيه: أول من عقد الراية من الخلف الحداد الأصبهاني الذي قام
على الضحّاك و أول من عقد اللواء سيدنا إبراهيم الخليل و أول
راية عقدت في الإسلام يوم خيبر و ما كانت العرب تعرف إلا
الألوية و في الترمذي كانت رايته | سوداء و لواؤه أبيض.

و "الشول" جمع شائلة على غير قياس و هي النوق التي جفّ
لبنها و ارتفع ضرعها وأتى عليها من حملها سبعة أشهر و أما
الشائل بلا هاء فهي التي تشول بذنبها للقاح و لا لبين لها أصلا
و هي مراده و الله أعلم و جمعها شَوْل بتشديد الواو كراكم و
رَكّع و أعلم أن عادة العرب الأعراب وقت عدم الكلاء ملازمة
الأمصار للارتفاق و قضاء الأوطار فإذا كثر الكلاء ارتحلوا في
طلبه بإبلهم التي عبّر عنها هنا بـ"بنات الشول" و كنى عن
رحيلهم بانتحاء لوائهم لأنه من لوازمه و "مرّت" أي ذهبت لرعي
الخصب و "العفا" الذي لا تصله عفونة أهل الحاضرة لا ما عفي
من الزراعة فليس بمراد أي ترعى ما عفي من أرضهم و ما
ترضاه أبصارهم من الرياض و ذلك حين ضحك "ثغور" أي

أسنان الحول مع "الركام" أي السحاب المتراكم بعضه فوق بعض الذي يخرج المطر من خلاله و أراد بضحك "الحول" أي العام كثرة خصبه. قال الحسن بن وهب:

تبكي فيضحك زهرها فيا له * ضحك تحصر عن بكائه سحاب
و قال آخر ⁴² :

و الأرض تضحك من بكاء غمامة * رفعت لسل سيوف برق
تلمع

و "وجه النهار" أوله و "الخرس" البكم و قوله ما يفهم قول أي
الخطاب لكون عقله كله عند محبوبته. قال جميل:
فإن يك جثمانني بأرض سواكم * فإن فؤادي عندك الدهر أجمع
و قال آخر ⁴³:

جسمي معي غير أن الروح عندكم * تتبع أثركم في غير ما
وطن

فليعجب الناس مني أن لي بدنا * لا روح فيه و لي روح بلا بدن
و "غريب الديار" هو الذي بقي فيها وحده مع ما أصابه من
الهل و هو الفراق و ما يرى إلا الطلل و "الأرسام" و تتزايد
العلل و الأسقام. قال جميل:

⁴² و قيل أنه مرج الكحل.
⁴³ و قيل أنه ابن أبي عيينة.

ألم تسأل الربع الخلاء فينطق * و هل تخبرنك اليوم ببيداء سملق
قال الناظم:

مَنْ نَهَّازٍ أَنْ فَرَّقَ مَا بَيْنَنَا الْمُحْصَبَ * وَ الْعَيْونُ عَيْونُ بَسِيلٍ

الدُّمُوعُ تَجْرِي

نُبَاتٍ كَالْمَجْنُونِ بَصَلُ الْهُوَى مُعْصَبَ * لَا هُنَا لِأَرَاخَةٍ حَتَّى

يَلُوحَ فَجْرِي

كَيْفَ نَهَجَعَ وَ الطَّرْفُ مِنَ الْبُكَاءِ مُوَصَّبَ * مَا أَنْ لَيْلِي حَاجِرُ

يَرْجَى وَ لَا الْهَجْرِي

"المحصَّب" بإزاء مكة المشرفة و هو ينزله الحاج عند منصرفه
من منى و هو الشعب الذي مخرجه إلى الأبطح و بعده طواف
الوداع و المحصَّب الذي هو موضع رمي الجمار بمنى و عليه
قول قيس ابن الملوح " أيا ويح من أمسى هـ". و العيون الأولى
الباصرة و الثانية عيون الماء و هو من باب التشبيه البليغ أي
أعين بدمع البكاء كأعين الماء لمرارة الفراق و هجم الأشواق و
لا سيما عند العشاق. قال القطامي:

قفي قبل التفرق يا ضباعا * و لا يك موقف منك الوداعا

وال في المجنون للعهد و المعهود قيس ابن معاذ صاحب ليلي
لأن المجانين عند العرب كثيرة كعروة بن حزام و مهدي و قيس
ابن الملوح و لكن أشهرهم ابن معاذ المذكور و هو القائل:

و إني على ليلى لزار و إني * على ذاك فيما بيننا مستديهما
و قال العتبي "المجنون اسم مستعار لا حقيقة له و ليس له في
بني عامر أصل و لا نسب". و عن الأصمعي أنه "ثابت و لكن
أضيف له من الشعر أكثر مما قاله". و ليس مراد الناظم
بـ"المجنون" صاحب الداء المعروف بدليل قوله بصل الهوى و
"الصل" بالكسر الحية الرقيقة الصفراء و منها نوع في الهند يقتل
بنظره دون لمسه و فيه قال الشاعر:

عقارب الصدغ بين الورد و الزهر * كأنها الليل بين الفجر و
القمر

دبّت و ما ضرت العينين ناظرها * كالصل يقتل دون اللمس
بالنظر

غريبة: يحكى أن الملك لاسكندر نزل بأرض الهند على بئر
فصار كل من نظر لذلك البئر من جنده يموت من حينه فبعث
إلى شيخه أرسطو و هو أول من استخرج علم المنطق يخبره
بذلك فبعث له بمرآة صقيلة و قال أوضعها على فم البئر
فوضعها ساعة ثم أزالها فصاروا ينظرون إلى البئر و لا يموتون
فسئل عن ذلك فقال أن بالبئر حية تقتل من نظرتها فلما قابلتها
المرآة نظرت لنفسها فماتت.

و قوله "لا هنا الخ" على أنه يجعله ثعبان الهوى عصابة لرأسه فهو يلسعه بوجودان العشق فلذا لا هنا و لا راحة إلى الفجر. و "الهجوع" النوم و "الطرف" العين و معنى "موصّب" ممرض و قوله "ما ان ليلي حاجز الخ" أي أن ليله و هجره مستمر إن لا يوجد حاجز بينها و بين ضدها النهار و رضا من يهواها. قال المخبّل:

أ تهجر ليلي بالفراق حبيبها * و ما كان نفسا بالفراق تطيب
و خص الناظم الليل لأن فيه يكثر الوله و الشوق و لذا قال
القطب الرفاعي⁴⁴ رضي الله عنه:

إذا جنّ ليلي هام قلبي بذكركم * أنوح كما ناح الحمام المطوّق
قال امرؤ القيس:

و ليل كموج البحر أرخى سدوله * علي بأنواع الهموم ليبتلي
و "الرجا" ترقّب ما يرجى حصوله و قد يستعمل لمعنى الطمع
كقوله تعالى ﴿و الذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾⁴⁵
و الحاجز في وصف هول الليل. قوله⁴⁶:

أمن بارق أورى بجنح الدجى سقطا * تذكرت من حل الأباريق
فالسقطا

⁴⁴ و هو مدثر بن إبراهيم بن الحجاز.

⁴⁵ س. 26. 1/82.

⁴⁶ أي حازم القرطاجني.

و كم ليلة قاسيتها نابغية * إلى أن بدت شيئا ذوائبها شمطا
و بت أظن الشهب مثلي لها هوى * و أغبطها في طول ألفتها
غبطا

على أنها مثلي عزيزة مطلب * و من ذا الذي ما شاء من دهره
يعطى

كأن الثريا كاعب أزمعت نوى * و أمّت بأقصى الغرب منزلة
شحطا

كأن نجوم الهقعة الزهر هودج * لها عن ذرى الحرف المناخة قد
حطّا

و ما أحسن قول القائل:

هَكَذَا مَنْ يُشَبَّبُ بِالْجَمَالِ حَيْرَانٌ * دُونَ شَهْدٍ وَصَالِهِ يَلْقَاهُ شُوكٌ
نَحْلُهُ

أَمَنْ ذَرَى حَيٍّ غَرِيبٍ أَنْ حَيَّمُوا بَنَجْرَانَ⁴⁷ * يَوْمَ نَزَّلُوا دَارَ

الْمَمْسَا مَنِينٍ رَحَلُوا

[ببياض]⁴⁸

يَوْمَ أَنْ رَحَلُوا الْعَرَبَ عَلَيَّ يَوْمَ مَشُومٍ * شَكَلُ صَبَاحِي نَحِيسَ وَ
سَعْدُ مَسَاهِمٍ

⁴⁷ و عند بخوشة و بو علي: بجيران.

⁴⁸ يوجد هنا ببياض في المخطوطات.

شَقُّوا ثَوْبَ السَّرَابِ بِالْقَفْرِ الْمَوْسُومِ * وَأَخْزَمًا ذَرَاتِ الْأَخْفَافِ

كُتَاهُمْ

تَرَكُوا كَبْدَ الصَّعِيدِ بِالْحَافِزِ مَرْشُومٍ * يَحْكِي قَلْبِي مَنِينٌ جَرْحُوهُ

نُتَاهُمْ

بَسِيُوفِ الْبَيْنِ كَيْفَ رَعَمُوا نُنْسَاهُمْ

قوله "يوم ان رحلوا العرب الخ" يقال ارتحل البعير إذا سار و مضى و القوم عن المكان انتقلوا كترحلوا و "الشكل" الشبه و المثل و يكسر و "النحس" ضد السعد و في هذه المقابلة من البديع ما لا يخفى على الكهل و الرضيع. و باقي البيت فسرہ الشارح بالسوية كما هو مقرر في محله من الورقة الآتية فاكتفينا بالقضية.

لطيفة: و لمناسبة الأشياء المليحة أردنا أن نفيد هنا بعض رسالة ابن زيدون المشهورة الفصيحة و سبب إنشائها على ما قيل أنه كان بقرطبة أعادها الله دار للإسلام امرأة ظريفة متأدبة من بنات خلفاء العرب المنسويين إلى عبد الرحمان بن الحكم المعروف بالداخل في بني عبد الملك بن مروان الأموي تسمى ولادة بنت المستكفي بالله ابتذل حجابها بعد نكبة أبيها و قتله فصارت تجلس للشعراء و الكتاب و تحاضرهم و تطارحهم و كانت ذات جمال بارع و أدب غض و دماثة أخلاق و كان لها ميل إلى

الوزير أبي الوليد بن زيدون المخزومي الأندلسي بخلاف غيره
من أهل العصر فمما كتبت إليه و هي راضية عنه:
تقرب إذا جنّ الظلام زيارتي * فإني رأيت الليل أكتم للسّر
و بي منك ما لو كان بالبدر لم ينر * و بالليل لم يظلم و بالنجم
لم يسر

و "الشق" معروف و "ثوب السراب" من إضافة المشبه به للمشبه
أي السراب الذي هو كالثوب. و "القفر" الأرض التي لا ساكن
بها و الموسوم أي المرقوم بأرجل الضباء كما هو مشاهد في
الصحاري من أثر أظلافها. و قوله "و آخر" أي و ثوب آخر
كساهم و هو الغبار الذي ذرته "الأخفاف" أي أخفاف إبلهم و
حواقر خيلهم و أراد بـ"كبد الصعيد" هنا ظاهره و "مرشوم" من
"الرشم" و هو الآثار أي تركوا وجه الأرض مؤثرا بالخفاف و
الحواقر حتى صار مثل قلبي الذي جرحوه نساءكم و قسموه
بسيوف البين أي كيف ننسأهم على زعمهم. قال يحيى بن طالب
الحنفي:

تغربت عنها كارها فتركتها * و كان فراقها أمرّ من الصبر

ثم قال الناظم:

كَيْفَ نَنْسَاهَا وَأَنَا مَنْزِلِي حَمَاهَا * نُبَاتٌ نَرَعَاهَا كَمَا رَعَى النُّجُومُ

رَاهِبٌ

رَاحَتِي تَنْزَلُ مِثْلَ الرَّزْقِ مَنْ سَمَاهَا * مَحَجَّتِي الْبَيْضَا حِينَ
تُضِيقُ بِي الْمَذَاهِبَ
مَا الْحَيَا وَ الرَّحْمَةَ يَجْرِي عَلَى لَمَاهَا * إِذَا اسْتَوْلَاتْ بِرِيحِ
وَصَالَهَا الْمَوَاهِبَ

"الحما" الكنف أي و أنا في حرمتها و كنفها و جوارها
و "نرعى" نراقب و "الراهب" عابد النصارى و الضمير في سماها
للمحبوبة أي أن راحتي تنزل من سماها أي من جانب عطفها و
وصلها و هي طريقي التي أسلكها إذا ضاقت الطرق و ماء
الحيوة لعابها و جعله ماء رحمة أيضا لكونه يؤثرها في القلب و
يودعها فيه و هي ميل الطبع و رفته و "اللمى" مثلث اللام⁴⁹
سمرة في الشفة و لذلك يستعملون النساء الإستياك بالجوزاء
لتحصيل ذلك. و "المواهب" العطايا و في كلامه التسهيم و
التسميط في الجنس اللاحق.

قال الناظم:

أَهْ يَا حَادِي الْعَيْسِ اذْكُرْ غَرِيبَ تَهْلَانِ * الْخِيَامَ السُّمْرَ الْيَّ
بِالْحَضِيضِ نَزُّوْا
شَابَ قَرْنُ الْبَيْدَا مَنْ زَفْرَةٌ أُمَّ غَيْلَانَ * وَ السَّرَى كَلَّتْ تَحْتِ
الْقَاصِرَاتِ بَرْئُهُ

⁴⁹ أي على شكل لَمَى و لَمَى و لَمَى.

"آه" هنا كلمة تلهّف كما مرّ و "الحدأة" و هو الغناء للإبل لتطرب و تجد السير و "العيس" الإبل البيض تخالطها شقرة و "تهلان" جبل بالحجاز و "السمر" جمع سمراء و هو بياض يميل إلى بعض سواد و "الحضيض" المطمئن من الأرض كما في القاموس و الذي في العين عند قول الشاعر:

تركنا في الحضيض بنات عوج * عواكف قد خضعن للنسور
ما نصه أراد بالحضيض الموضع المطمئن و إن كان هو القرار من الأرض عند منقطع الجبل هـ. و أراد الناظم بنزول خيام العرب بالحضيض و فتور عزهم و ذهاب مجدهم و تولية غيرهم الحل و العقد نظير قول الحريري⁵⁰ " و منزلي بعد اليفاع الحضيض" أي أنه كان في رفعة و قد صار إلى خفض لأن اليفاع هي الأرض المرتفعة و قد بسطنا الكلام على هذا في غير هذا الشرح و "الشيب" بياض الشعر و "القرن" معروف و "البيداء" أصله موضع بالحجاز أطلق على مطلق القفر و أضاف القرن للبيداء على طريق الاستعارة التخيلية و "أم غيلان" شجرة بالحجاز معروف و "الزفرة" من الزفير و هو إخراج النفس بقوة ضد الشهيق و "السري" مشي الليل و المعنى أبيض نبات البيداء من حر أم غيلان الخ و إن المراد بالشيب مقاساتها لزفير أشجار

⁵⁰ أنظر المقامة البغدادية.

أم غيلان و غطيظها و مقاسات ما يمر بها من الماشين بالليل
من الحمولة و الهودج و الركبان و غير ذلك فعبر عن شدة
تحملها ذلك بالشيب و قوله و السُري بضم السين معطوف على
زفرة أم غيلان على كل حال و قوله كَلَّتْ على حذف العاطف
أي و كَلَّتْ تحت النساء القاصرات الطرف على أزواجهن و هي
المحصنات الحسان. بزل جمع بازل و هو البعير الذي فطر
نابه. و المعنى "شاب قرن البيدا" مما ذكر و كَلَّتْ فيها الإبل
العناق و قال جرير رحمه الله:

مشق الهواجر لحمهنّ من السرى * حتى ذهبن كلاكلا و صدورا
و التقدير أذهب حر الهواجر لحمهن و عطف الصدور على
الكلاكل تفسير و في كلام الناظم جناس التصحيف و
الاستعارات و المجاز و التعديد .

ثم قال الناظم رحمه الله و رضي عنه:

كَلَّتْ حُمُرُ الدُّرَى مِنْ الْبَيْدَا وَ عَشَّاتُ * مَثَلِي تَدْرِي الدُّمُوعَ مَنْ

الْأَخْدَاقُ السُّودُ

سَأَفَتْ صَلْصَالَ مَنْ حَمَى تَرْبُهُ عَشَّاتُ * وَ رَعَى عَوْدَ السُّرَى

مَنْ الْقَفْرُ الْمَمْسُودُ

حِينَ أَنْ لَاحَ الصُّبَّاحُ مَثَلُ اللَّيْلِ عَشَّاتُ * تَطْعَنُ بِهَا الْعَرَبُ

مَقَاتِلَ كُلِّ حَسُودُ

مَا زَالَ بَعْرُهَا دَلِيلَ الْقَوْمِ يَسُودُ

"كَلَّتْ" بمعنى أعبت و "الذرى" جمع ذروة السنام و "البيدا" الفلاة و "غشأت" غشي عليها من شدة ذلك و الغشي شيء كالإغماء. و "ذري الدموع" سيلها و قوله "مثلي" أي مثل دموعي في الكثرة و أصل "الحدقة" سواد العين و المراد هنا العين كلها و "سافت" شمّت و "الصلصال" طين يابس له صلصلة أي صوت إذا حرك. "الحماء" طين أسود و هو بفتح الحاء و بالهمزة و "عشّات" أي مكثت فيه عشية و "العود" بفتح العين البعير الذي جاوز سن البازل و "الرغاء" صوته كما أنه يقال لصوت البقر حُوَارٌ و الشاة يِعَارٌ و يحتمل أن المراد بالعود هنا المضموم العين واحد العيدان القنتب. و "السرى" المشي بالليل و "الممسود" هو في الأصل قتل الحبل و استعير للفقير لامتداده و طوله و "لاح" بمعنى ظهر و قوله "مثل الليل" أي أن الصباح صار مثل الليل بما أضرته الإبِل من الغبار و قوله "عشّات" يقال عشى الإبِل و أعشأها إذا أرهاها ليلا و العاشية الإبِل و الغنم ترعى ليلا كما في القاموس. واستعمال الناظم له في الصباح لكونه صار مثل الليل بالغبار فله دره . و قوله "تطعن الخ" أي أن العرب طعنت بالإبِل التي هي كالرمح على طريق الاستعارة مقاتل كل حسود

فأنفذتها و مات بغيظه و شدة غيرته و من أحسن ما قيل في
الحسود قول اليماني⁵¹:

إني لأرحم حاسديّ لفرط ما * ضمّت صدورهم من الأوغار
نظروا صنيع الله بي فعيونهم * في جنّة و قلوبهم في نار
و الضمير في "بعزّها" يعود على الإبل أي أن الذليل الذي لا
يبالي به يسود الناس بالعزّ الذي يكتسبه بكثرة الإبل. قال أحيحة
بن الجلاح:

استغن أو مت و لا يغرّنك ذو نشب* من ابن عمّ و من عمّ و
من خال

كل النداء إذا نديت منخذل* إلا النداء إذا نديت يا مالي
و يقال "إن ضرط الغني شمّت و إن عطس الفقير ممّت". و قال
الشاعر⁵²:

لولا المشقة ساد الناس كلهم* الجود يفقر و الإقدام قتال
و قال البوصيري في مدح أهل البيت:
سدتم الناس بالتقى و سواكم * سودته البيضاء و الصفراء
و في كلام الناظم من البديع الجناس و التتميم.

⁵¹ و هو التهامي.
⁵² المتنبي.

قال الناظم رحمه الله و رضي عنه:

أش را مَنْ لَا رَاها راتعة غفاها * مورسة بالجرجير تلاعِب
الْفَرَاهِب

ترجم غيوب البیدا فج ما خفاها * إذا استولت ریح الجوزا
بصهذ لاهب

زينة الدنيا من لا كدرت صفاها * ما اسعد أيام ان تصبح في
الوطا تناهب

"أش" بمعنى أي شيء و قوله "را" بمعنى رأى و هي بصرية
تتعدى إلى مفعول واحد أي أي شيء رأى من لا راءها أي الإبل
راتعة في "عفاها" و هو الخصب الذي لم يعف بمشي و لا غبرة
يقال "رتع" إذا أكل و شرب ما شاء. قال طرفة:

أمر بن هند ما ترى رأي صرمة * لها سبب ترعى به الماء و
الشجر

و المصدر "المرتاع" و "الورس" نبت صبغة أصفر و "الجرجير"
نبت أيضا نوره أصفر من ذوات الزيوت و في القاموس "الجرجر
و الجرجير بكسرهما بقلة معروفة" أي أن هذه الإبل لصفرة لونها
فكانها صبغت بزهر الجرجير فقله "مورسة" أي مصبوغة و
يحتمل أن معنى "مورسة بالجرجير" أي صفراء بنوره لرعيها فيه
حتى كثر تعلقه بها فكانها صبغت به و هذا الأحسن لقوله قبل

"حمر الذرى" و "تلاعب" تجاري و "القراهب" ثيران الوحش و في القاموس القُرْهَب الثور المسن أو الكبير الضخم و "ترجم" أي تبين المواضع الخفية من البيداء و هي الأرض القفراء لكثرة مرورها بها و رعيها فيها و "الفج" الطريق الواسع بين جبلين و أصل ترجم تترجم أخذه من الترجمان المفسر للغات و "استولات" بمعنى توالى و "ريح الجوزاء" أي التي تهب في وقت كون الشمس في برج الجوزاء و هو فصل الصيف لا خصوص التي تهب من جهتها فقط. و "الصهد" شدة الحر و "اللاهب" المتوقد و قوله "زينة الدنيا" أي هي زينة الدنيا قال تعالى ﴿ من الحرث و الأنعام ﴾⁵³. و قوله "من لا كدّرت صفاها" أي أنها لم تبدل صفاها بالكدر حتى تكون كلا عليك بل هي مرغوب فيها معينة لك في كل وقت و ما في قوله "ما اسعد" تعجيبية و "الوطى" ما انبسط من الأرض و "تناهب" أي بأرجلها عند سرعة مشيها و ركضها. قال أكثم ابن صيفي التميمي الحكيم "لو أن الإبل تكلف الطحن لطحنت لها" و قال أيضا "لا تسبوا الإبل لأن فيها رقوء الدم" أي تعطى في الديات فتحقن الدماء و ليس هذا بحديث كما توهم الجوهرى وإنما هو من كلام أكثم المذكور. قال أبو نؤاس: و إذا المطايا بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرجال حرام

⁵³ في الآية 136 من سورة الأنعام.

قَرَّبْتَنَا مِنْ خَيْرٍ مِنْ وَطْئِ الثَّرَى * فَلَهَا عَلَيْنَا حَرَمَةٌ وَ ذِمَامٌ
وَ قَدْ تَمَثَّلَ بِهَذَا الشَّعْرِ بَعْضُ الْمُرِيدِينَ لَمَّا قَرَّبَ مِنَ الْمَدِينَةِ
الْمَنْوُورَةِ كَمَا فِي الْخَفَاجِيِّ وَ "الشِّفَاءِ" وَ فِي كَلَامِ النَّازِمِ التَّعْدِيدِ وَ
الْجِنَاسِ وَ التَّوْرِيَةِ.

قال الناظم رحمه الله و رضي عنه:

كَمْ قَرَأَتْ غُيُوبِي مَا سَطَّرَتْ بِلَبْنَانٍ * فِي مَهَامِهِ مَجْرُودَةٌ وَ

الْحَدَاتُ تَتَلَّوْا

خَلْفَ رَكْبِ حَجَازِي تَحْكِي تَيْوُسَ لَبْنَانَ * صَادَّةً عَنِ مَنْهَلٍ تَرَعَى

الْبُشَامَ فَتُلَّهُ

"كم" خبرية هنا و قد تجاوز بالقراءة عن الرؤية كما تجاوز
ب"البنان" عن أخفاف الإبل و "السطر" الأثر و "المهامه" جمع
مهمه و هي المفازة البعيدة الأطراف المجرودة من النبات و
الشجر. و "الحدات" جمع حاد و هو سائق الإبل و "تتلوا" أي
تقروءوا لها الغناء الذي تطرب به لتجيد السير و المعنى كثير ما
رأت عيني ما أثرته الإبل بأخفافها في المفاوز المجرودة من
النبات و الحداة تغني لها خلف ركب قاصد الحجاز و تحكي
تشبيهه "تيوس" جمع تيس ذكر الظباء و الظاهر أن المراد بتيوس
الجبل الوحوش التي يقال لها "الأروي" و "لبنان" جبل بالشام
مشهور بكثرة العباد و الأولياء و في عباده حكايات عجيبة

أنظرها في الصبَاغ⁵⁴ و "صَادَّة" أي راجعة من النهل الذي شربت منه و ذهبت ترعى "البشام" و هو شجر طيب الرائحة و ترعى القتل و هو ما لم ينبسط من النبات فهو على حذف العاطف. تنبيه: قال شهاب الدين الخفاجي " لفظ التلاوة لا يقال إلا لقراءة القرآن " أنظره و لا بد. و في كلام الناظم المجاز و الاستعارة و التبعية و التعديد.
قال الناظم:

عَرَبٌ ائْتَسَبَتْ لِحَيِّ ذَاتِ الْخَالِ الْيَوْمَ * بِمَجْرَدِ الْأَسْمِ قَالَتْ
تُضَاهِي لِعَرَابِ
حَتَّى يَحْكِي النَّخِيلَ الْأَزْهَرَ بِسَرِّ الدُّوْمِ * وَ يَقْصِرُ حُلَّتُهُ بِمَا
الْفَجْفَاجِ عُرَابِ
هَدِيكَ عَرَبٌ كَرَامٌ مَا يَدْرِكُهَا لَوْمٌ * وَ عَرِيبُ الْيَوْمِ قَوْلُهَا وَ الْفَعْلُ
سَرَابِ
بِالْعَيْسِ وَ بِالْخِيَامِ فِي الْأَنْسَابِ قُرَابِ

"الخال" شامة سوداء تكون في الخد تزيد صاحبها حسنا و جمالا فالمرأة التي في خدها الخال تعد من حسان النساء و كذا الغلام و ما أطف قول أبي الفضل الميكالي في شقائق النعمان:

⁵⁴ لعله يقصد أبو نصر ابن الصبَاغ صاحب " الشامل " و " الكامل " و " تذكرة العالم و الطريق السالم " المتوفى سنة 477هـ.

تصوغ لنا كف الربيع حدائقا * كعقد عقيق بين سمط لآلي
و فيهن أنوار الشقائق قد حكمت * خدود عذارى نقشت بغوالي
و كان لأبي إسحاق الصابي غلام اسمه يمن و كان أسود
فسمعه يتفاخر مع غلام أبيض بأن السواد خير. فقال أبو
إسحاق:

قال يمن و هو أسود للذي * بياضه استعلى علو الخائن
لو أن مني فيك خال زانه * و لو أن منك في خالا شانني

أي أن خال السواد في البياض ممدوح و خال البياض في السواد
مذموم جدا ثم أن الناظم يحتمل أنه أراد بـ"ذات الخال" المحبوبة
و يحتمل أنه أراد البيت الشريفة و أراد بالخال الذي بها الحجر
الأسود و قوله "بمجرد الاسم" أي بالاسم المجرد عما يدل على
الصدق قالت "تضاهي" أي تشابه الأعراب أي العرب لا
خصوص سكان البادية فعلى هذا "قالت" بمعنى زعمت و قوله
"حتى الخ" أي لا يكون ذلك حتى يشابه تمر النخيل الأزهر
باصفراره و احمراره بسر الدوم و هو معروف يقال له المقل و لو
عبر به لكان أحسن و هو خش عسر قابض لا سلاسة فيه و
شتان ما بينهما و حتى "يقصر" أي يبيض الغراب "حلته" أي
ريشه الأسود بماء "الفجاج" اسم نهر في الجنة و هذا لا يمكن و

المعنى أن عرب اليوم و العرب الماضين لا تقع مشابهة بينهما حتى يشبه بسر الدوم الثقيل على اللسان بتمر النخيل السلس الحلو و حتى يبيض الغراب ريشه فإذا أمكن هذان الأمران أمكن أن يشابه هؤلاء أولئك لكن ذلك لا يمكن فكذا هذا لأن المعلق على المحال محال. قال الشاعر⁵⁵:

أنسب لكل زمان ما يليق به * فإن للزند حليا ليس للعنق
و قوله "هذيك الخ" جواب عن سؤال و هو لم لا يشبهونهم فقال
"هذيك" أي تلك العرب كرام لا يلحقها لوم و ذم في الأقوال و
الأفعال و الأحساب. قال النابغة الجعدي:

بلغنا السماء بمجدنا و جدودنا * وإنا لنرجو فوق ذاك مظهرها
و أما هؤلاء فأقوالهم و أفعالهم كلها بمنزلة السراب لا يدرك منه
شيء و لا يوقف له على حقيقة و إنما تتقارب النسبة بينهم في
العيس و هي الإبل مطلقا لا خصوص البيضاء التي تخالطها
شقرة و في الخيام فإنهما عند كل منهما و أما في غير ذلك
فبينهما بون كما بين الضب و النون. قال لبيد:

فإن أنت لم ينفعك علمك فانتسب * لعلك يهديك القرون الأوائل
تتبيه: كان الناظم أخذ ما ذكره من قول الشاعر:
لا و الذي حجت قريش بيته * مستقبليين الركن من بطحائها

⁵⁵ ابن فلاقس.

ما أبصرت عيني خيام قبيلة * إلا حسبت أحبتي بفنائها
أما الخيام فإنها كخيامهم * و أرى نساء الحي غير نساءها

تتمة: أول من نزل مكة العمالق و ذلك في عهد عاد ثم نزلها من
العرب جرهم إحدى قبائل العرب العاربة و إليهم أرسل إسماعيل
عليه السلام و استمروا بها إلى أن أزالتهم عنها خزاعة إحدى
قبائل العرب المستعربة بعد حروب شديدة و مواقف عديدة
فذهبت جرهم حينئذ للبحرين و بقيت خزاعة بالحرام و كانت
قريش متفرقين في قبائل كنانة و كانت تدعى إذ ذاك النظر ابن
كنانة فلما ظهر فيهم قصي بن كلاب جمعهم من كل أوب إلى
البيت و أعانه على خزاعة أخوه من أمه سيد خثعم فسموا حينئذ
قريشا و "التقريش" التجميع و سمي قصيا مجمعا و فيه يقول
الشاعر⁵⁶:

أبوهم قصي كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر
و في كلام الناظم رد العجز على الصدر و الاستعارة و
الاحتباك و التريديد و التلميح و المذهب الكلامي و التعديد و
الموازنة و المجاز .

قال الناظم رحمه الله و رضي عنه:

⁵⁶ حذافة بن غانم.

مَنْ أَطْنَابُ عَرَبٍ رَامَةٌ مَا هُوِيَتْ مُنْصَبٌ * وَ لَا ابْصَرْتُ سَنَاهَا
حَتَّى سَنَبَاتٍ قَلْبِي
رَعَاتٍ عَيْسِي زَهْرٌ مَنَاهَا فِي وَادٍ مَخْصَبٌ * فِي مَهَادِفٍ نَجْدٌ وَ
نَعْمَى إِذَا تَسَالَ بِبِي
عَامِلٌ هَوَاهَا يَرْفَعْنِي وَ طُورٌ يَنْصَبُ * وَ لَا نُبَالِي مَنْ وَقْتُ تَرِيدُ
فِيهِ سَلْبِي

"الطنب" حبل طويل يشد به سرادق البيت و في لغز علي غلام
اسمه طنب فمرّ بخبائه رجلا ليلا فأنشد قول مرة بن محكان
التميمي مازحا له و هو:

في ليلة من جمادى ذات أندية * لا يبصر الكلب في أرجائها
الطنب

معرضا بأن كلبه لا يبصره.

و أراد الناظم بالأطناب الخيام فهو مجاز مرسل و "راماة" منزل
بالبادية بطريق الركب العراقي و منه المثل تسألني براميتي
سلجما يكثر من تثبيته في الشعر و "منصب" بفتح الميم و
كسر الصّاد بمعنى الحسب و الشرف و في المصباح⁵⁷ يقال له
نصب أي علو و رفعة و امرأة ذات منصب أي حسن و جمال

⁵⁷ لعله كتاب بدر الدين بن مالك " المصباح في المعاني و البيان".

لإنه رفعة لها هـ. و المعنى أن من هويتها لها منصب في خيام
عرب رامة و من علو الهمة أن يهوى الإنسان من علا قدرها و
"السنا" أصله ضوء البرق و المراد هنا جمالها أي ما تأملت
جمالها حتى سبت عقلي و استولت عليه و ذلك بمجرد وقوع
عيني عليها و رعت نفسي المعبر عنها بالعيس "زهر مناها" أي
ما أتمناه منها من العطف و الوصل في واد كثير الخصب
بكسر الخاء في غاية الغض و النعومة و أراد بالوادي ذاتها و
"مهادف نجد" ما انخفض منها و أعلى نجد تهامة و اليمن و
أسفله العراق و الشام و أوله من الحجاز ذات عرق و "نعمی"
بالضم موضع برحبة مالك بن طوق أو الموضع الذي بجنب أحد
و به نزلت غطفان في غزوة الأحزاب و يصب هو و نعمان في
الغابة و قوله "إذا تسأل بي" أي تسأل عني لأن الباء بعد سأل
تكون بمعنى عن كقول علقمة بن عبدة التميمي:

فإن تسألوني بالنساء فإنني * خبير بأدواء النساء طبيب

و معنى كلام الناظم إن كنت تسأل عني فأخبرك أن نفسي لا
تزال ترعى من أمانى المحبوبة التي نتمناها زهرا غضا طريا.
قال علي كرم الله وجه "تجنبوا الأمانى فإنها تصغر المواهب التي
رزقتم". و قال بعض الحكماء "الأمانى تخدعك و عند الحقائق

تدعك". حكي أن عبد الرحمان القوسي حضر مجلس عبد
الملك المظفر قبل أن يلي حماة فأنشده بقوله:
متى أراك و من تهوى و أنت كما * تهوى على زعمهم روحين
في بدن
هناك أنشد و الآمال مقبلة * هنئت بالملك و الأحباب و الوطن
فوعده إذا ملكها بألف دينار فلما وليها دخل عليه فأنشد:

مولاي هذا الملك قد نلته * برغم مخلوق من عند الخالق
و الدهر منقاد لما شئته * و هذا أوان الموعد الصادق

فدفع له ألف دينار و أقام عنده فلما سافر الملك فسافر القوسي
معه فصرف جميع الألف في ذلك السفر فقال:

ذاك الذي أعطوه لي جملة * قد استردوه قليلا قليل
فليت لم يعطوه و لم يأخذوه * و حسبنا الله و كفى به وكيل

فحبسه المظفر فقال ما ذنبي قال حسبنا الله و نعم الوكيل ثم أمر
بقتله فلما أحسّ بالخنق قال:

أعطيتني الألف تعظيما و تكرامة * يا ليت شعري أم أعطيتني

ديتي

و قوله "عامل هواها الخ" العامل في اللغة هو ما يلي سنان
الرمح. قال أبو العلاء المعري:

و ترجع أعقاب الرماح سليمة * و قد حطمت في الدار عين

العوامل

و قال الفرزدق:

و بيتا كريما قد نكحنا و لم يكن * لنا خاطبا إلا السنان و عامله
و عند النحويين ما ينشأ عنه أثر في الكلمة و إضافة للهوى من
باب الاستعارة التخيلية و "الرفع" هنا ضد الانحطاط المعبر عنه
بـ"النصب" و معنى كلامه أن العامل الذي هو هواها تارة يرفعني
بتيسيره أسباب وصالها و تارة يحطني بضع ذلك و لا نبالي
بهجوم الوقت الذي تريد فيه سلب صبري لعلمي أنها لا تدوم
على شيء تارة وصلا و تارة ضدا و أنا أنقلب كيف تقلبت لاقى
إليها زمامي. قال الشاعر:

و ما الدهر إلا منجنونا بأهله * و ما صاحب الحجات إلا معذبا

و "المنجنون" هو الدولاب لأنه تارة يرفع و تارة يضع و أعلم أن
المحب أبدا تراه لاقى الزمام في يد محبوبه يفعل به ما شاء كما
قال هارون الرشيد⁵⁸ يخاطب جارية له:

أما يكفيك أنك تملكيني * و أن الناس كلهم عبيدي
و إنك لو قطعت يدي و رجلي * لقلت من الرضا أحسنت زيدي
و في كلام الناظم التورية و المطابقة و الجناس المفروق.
قال الناظم:

رَقُّ طَبْعِي حَتَّى حَكَى نَسِيمَ الْأَزْدَانِ * حِينَ يَضْوَعُ مَنْ جَلْبَابَهَا
و يَغْلُو
طَيِّبَةً بَشْدَاهَا الْمَسْكِي تَطِيبُ الْأَبْدَانِ * يَا سَعَادَةَ مَنْ قَبَّلَ رَجْلَهَا
بَنَعْلَهُ

رَقَّة الطبع هو تهذبه و صفاؤه من الغلظة و الجفاء و "الاردان"
واحدها ردن كم القميص و "يضوع" يفوح و أصله لنشر رائحة
المسك و قد يقال المسك يضوع عند العارف به و يضيع عند
الجاهل و "الجلباب" قميص يغطي به اللباس من فوق و معنى
"يعلو" يرتفع كدخان الطيب و قوله "طيبة" أي هي "طيبة بشذاها"
أي قوة رائحتها أما الشذا فهو المسك أو لونه أو عرفه يعني

⁵⁸ و ينسب إلى ابن الرومي.

رائحتها التي كالمسك "تطيب" أي تعطر "الابدان" فيا سعادة من قبل رجلها من فوق النعل.

قال الناظم:

آه مَنْ الْحَاجِبِينَ وَالْعُرَّةَ وَالْعَيْنَ * وَالنَّعْمَ الدَّوْدِي إِذَا رَنَّ

صَدَاهَا

وَالصَّدْرَ الْمُرْمَرِي الْمَرْفَعُ بِالْحُقَيْنِ * مَنْ لَا تَرْكُوا يَبَاشِرُ الْكَشْحَ

زْدَاهَا

لَوْ بَصَقَتْ ذَاتُ يَوْمٍ فِي مَجْمَعِ بَحْرَيْنِ * يَضْحَى سَلْسَالُ كَوْثَرِي

طُولُ مَدَاهَا

نَفْسِي وَ جَمِيعَ مَنْ مَشَى الْأَرْضَ فُدَاهَا

"آه" مر معناه و قد يبدل من الهمزة واو فيقال واؤه. قال أنس ابن النظر عم أنس الراوي " واهًا ريح الجنة أجده دون أحد". قال ابن الحاج في المدخل⁵⁹ هي كلمة تلهف و تحنن و شوق و تمن و "من" بمعنى اللام و "العُرَّة" بياض الجبهة و أصلها البياض الذي بوجه الفرس و قوله "و العين" أي سواد العين. قال الراعي:

إذا ما الغانيات برزن يوما * و زجَّجن الحواجب و العيون

و "النغم" أي الكلام الخفي اللين. قال ذو الرمة في مية:

⁵⁹ " مدخل الشرع الشريف على المذاهب الأربعة" لأبي عبد الله محمد ابن الحاج العبدري الفاسي المتوفى عام 737هـ.

لها بشر مثل الحرير و منطق * رخيم الحواشي لا هراء و لا

نزر

"البشر" ظاهر الجلد و "رخيم" رقيق و قوله "الداودي" أي المنسوب لنبي الله داوود عليه السلام و قد أعطي من حسن الصوت و طيبة ما يقصر عنه الوصف حتى أن الطير تجتمع عليه إذا شرع في قراءة الزبور و قال الشهاب الخفاجي على الشفا أن الماء يحبس لقراءته أنظره. و قد قال رسول الله | لأبي موسى الأشعري " لقد أوتيت مزار من مزامير آل داوود" الحديث. و المراد داوود نفسه عليه و على نبينا السلام و أصل "الرن" لصوت المثاني و الطيبة و المراد هنا النطق و أصل "الصدى" الصوت الذي يرده عليك الجبل و المراد هنا الكلام و من شرب من كأس العشق و نادى أهله لا بد أن يتغنى و من لم يصل لا بد أن يتمنى و المرمري أي المنسوب للرخام و أراد بالحقين الثديين و أصل الحق ظرف من عاج يجعل فيه الطيب و هذان الثديان ترفعا عن الصدر حتى منعا رداها أي قميصها أن يباشر كشحها الذي هو ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف و "مجمع البحرين" بحر الروم و بحر فارس مما يلي المشرق و قيل مجمع البحرين عند طنجة أنظر التفاسير. و "السلسال" العذب البارد و "الكوثري" المنسوب للكوثر و هو واد في الجنة و "المداء"

الغاية و المراد هنا الأبد. قال رؤية بن العجاج على ما للجوهري:

واها لسلمى ثم واها واها * هي المنا لو أننا نلناها

يا ليت عيناها لنا و فاها * بئمن يرضى به أباه⁶⁰

و قوله "تفسي الخ" هو دعاء منه لمحبوته بأن يقبها الله من جميع الأسوء و الضراء و هو على حد ما قال شاعر المتوكل⁶¹ لما مرض:

وددنا لو أن برئ الإمام لنا * لو باد كل عباد الله و انقرضوا
و الناظم إنما قال ما مر لتهتاره بالمحبة لأن المحبوب عند من يحبه في مكانة رفيعة لا يوازنه بالغير. قال نصيب⁶² مخاطبا لزينب:

أهابك إجلالا و ما بك قدرة * علي و لكن ملء عين

حبيبها

قال الناظم رحمه الله:

مَا نَزُولُ عَلَى الْعَاهِدِ تَنْدَبُ الْمَعَاهِدُ * مَا بَكَاتِ دُمُوعُ الرَّحْمَةِ

عَيُونُ دِيمَا

⁶⁰ تنسب هذه الأبيات إلى أبو النجم العجلي.

⁶¹ و هو محمد بن عبد الله.

⁶² نصيب بن رباح.

وَ النُّحُولُ عَلَى جَسْمِي وَ السَّقَامُ شَاهِدٌ * كُلُّ يَوْمٍ يَلِيَعُ قَلْبِي

الْغُرَامُ دِيمًا

نُبَاتٌ وَاجِسٌ طَرْفِي يَزَعِي النُّجُومَ سَاهِدٌ * وَ لَا تَغَيَّرُ الْأَحْوَالُ

مُحِبَّتِي الْقَدِيمَةَ

يعني لا أزول على رعاية العهد مقيما عليه "أندب" أي أبكي "المعاهد" أي منازلها و أثارها التي سلفت و لا أنساها مدة بكاء عيون "الديم" دموع المطر التي تودع الرحمة في الأرض فتسمية المطر رحمة مجاز مرسل و الدموع استعارة و الجامع الأنصاب و "الديمة" بكسر الدال المطر بلا رعد و لا برق أو يدوم في سكون خمسة أو ستة أو سبعة أو يوما و ليلة و أقله ثلث النهار أو ثلث الليل. و قد جرت عادة العشاق بالبكاء على الأحبة و مراسمهم و تعهد أطلالهم قال امرؤ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب و منزل * بسقط اللوى بين الدخول

فحومل

و "النحول" الهزال و رقة الجسم. قال مجنون عامر:

فأصبحت من ليلي الغداة كذاهب⁶³ * مع الصبح في أعقاب

نجم مغرب

⁶³ و في المراجع الشعرية: كناظر.

ألا إنما غادرت يا أم مالك * جسيم⁶⁴ أينما تذهب به الريح
يذهب

و قال كثير:

و قد زعمت أنني تغيّرت بعدها * و من ذا الذي يا عزة لا يتغيّر
لطيفة: حكى أن محمد الأمين ابن هارون الرشيد بعث إلى
ندمائه فحضروا عنده فتخلف عمه إبراهيم بن المهدي فأمر أن
يجب إذا جاءه فلما أتى حجب حتى شفع فيه سليمان بن
جعفر فلما دخل عليه عزله فقال "يا أمير المؤمنين أعذرنى فإني
عاشق و ذلك سبب تخلفي". فقال سعيد بن جابر كذب و الله يا
أمير المؤمنين قال و كيف ذلك قال:

إن الذي⁶⁵ يعشق معروف * لأنه أصفر منحوف
ليس كمن تلقاه ذا جثة * كأنه للذبح معلوف

فقال إبراهيم:

و قائل لست بالمحب و لو * كنت محبًا لذبت من زمن
أحبّ قلبي و ما درى بدني * و لو درى ما أقام في السمن
فقال له الأمين أحسنت يا عم و أمر له بألف درهم.

⁶⁴ و في المراجع: صدى.
⁶⁵ وجه الذي.

و "السقام" المرض و قوله "يلبّع قلبي" أي يمرضه و "ديما" معناه دائماً و "الوجس" الفزع يقع في القلب و "الطّرف" بفتح الطاء العين و مراعاة النجوم دوام نظره لها و هو كناية عن طول سهره و ساهر متصف بـ"السهاد" أي الأرق و هو امتناع النوم عند إرادته و سهر كفرح و السُّهُد بضمّتين القليل النوم و أراد بـ"الأحوال" سهاده و سقامه و فزاعه و نحو ذلك و لا تغير الأحوال محبتي القديمة و إن كان الإنسان يتغيّر بهذه الأحوال كما قال عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

لئن كان إياه لقد حال بعدنا * عن العهد و الإنسان قد يتغير
لكن بعض مجانين العشق و إن طال ولههم و دام قطع وصالهم
مقيمون على المحبة كما للناظم. و قد قال الشاعر⁶⁶:
قد يدرك المتأني بعض حاجته * و قد يكون مع المستعجل الزلل
و قال قيس ابن الملوح:

و لو تلتقي أصدائنا بعد موتنا * و من دون رمسينا من الأرض

سبب

لظل صدى صوتي و إن كنت رمة * لصوت صدى ليلي يهشّ
و يطرب

و في كلام الناظم الجناس الناقص و التام و الاستعارة

⁶⁶ القطامي التغلبي.

و المجاز المرسل.

قال الناظم رحمه الله:

صَبَّحْتِي الْغَارَةَ الشَّعْوَا عَدِيمَ حَيْرَانَ * لَا عَقْلَ لَا صَحَّةَ لَا جَاهَ

كَيْفَ نَسَلُوا

كُلُّ يَوْمٍ عِتَابٌ مِّنَ الْبَاهِيَةِ وَ هَجْرَانٌ * مَيِّتٌ سُرُورِي بَدْمُوعِي

الْفِرَاقُ عَسْنُهُ

"الغارة" معروفة و "الشعوا" المنفرقة من كل ناحية و "العدم" الذي لا مال له و قوله "لا عقل" بحذف العاطف و "الجاه" المنزلة و القدر عند الناس و "تسلوا" من التسلية و هي إذهاب الحزن يقال سلاه إذا أذهب حزنه بتطبيب خاطره و "العتاب" من عتب اللوم و أما من أعتب فهو الرضا و من الثاني قول النابغة⁶⁷:

و إن تك ذا عتبي فمثلك يعتب⁶⁸

أي يرضى. و من الأول قول جرير:

أقل اللوم عاذلي و العتاب

و قال سعيد الكاتب:

أقل عتابك فالبقاء قليل * و الدهر يعدل مرة و يميل

و لعل أيام العتاب قصيرة * فعلاما يكثر عتبنا و يطول

⁶⁷ الذبياني.

⁶⁸ "فإن أك مظلوما فعبد ظلمته * و إن تك ذا عتبي فمثلك يعتب".

و "الهجران" القطع ضد الوصل و قوله "ميت سروري الخ" يعني أن سروري مات و قد غسله الفراق بدموعي و رسمه و أعقبه حزني الناشئ عن القطع فلا أرجى بعده سرورا و لا جورا و في كلام الناظم الجناس و التعديد و الاستعارة.

قال الناظم رحمه الله:

حشاهما الغدر لکن أنا خنت العهد * من يعمل ذنب يستحق

عليه عقاب

طعمتني قبل قاصرات الطرف الشهد * وصلتني و الدما تسيل

على الأعقاب

رفعت قدري و عطفت علي في المهذ * و اصبحت نابز في

الحميرت بالألقاب

ذقت و كانت السوايع بالهجر احقاب

و معنى "حشاهما" أنزهها و أجنبها و "الغدر" ضد الوفاء و لكن للاستدراك و "خنت العهد" أي ضيعته و ما وفيت به و لم أبق على رعايته و الوفاء به و "العقاب" ضد العفو ثم ذكر فعلها الجميل بقوله طعمتني شهد مواصلتها و عطفها قبل قاصرات الطرف من النساء الحسان و "وصلتني" أي أفاضت علي إحسانها بسرعة و "رفعت قدري" أي صيرتني رفيع القدر و عطفت علي و أنا في "المهد" و هو شيء يجعل للرضيع يهزوه

به و ينام فيه و أصبحت حين رفعت قدري و حممتي من كل مكروه "أتابز الحميرات" أي أعيرهنّ بالألقاب الدالة على الذم و لا أكثرث بهن و التنابز التعابير و التداعي بالألقاب ثم بعد ذلك بطرت و خنت عهدها و لم أراعي مؤدتها و الحميراء الغيداء الحسنا و في الحديث "خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء". و قوله "ذقت" أي مرارة الهجر بسبب أخانتني العهد مما لا يوصف و كانت ساعتني في ذلك بسبب ما أقاصيه من الهموم أحقابا جمع "حقب" بضم الحاء المهملة و هو لغة ثمانون سنة و المراد هنا أن الساعة صارت هنا كأزمنة متطاوله كما فسر بالأزمنة قوله عنتره العبسي:

و قد كنت تخفي حب سمراء حقبه * فبح عنك منها بالذي هو
بائح

و حذف الناظم مفعول ذقت للعموم ثم قال الناظم رحمه الله و رضي عنه:

ذاق قلبني من هجرتها العذاب الأكبر * و لا جراك في هجرتها
خلاف ميلك
خاب سعيك و أبيت على الخلاف تصبر * حين ضاقت سبلك
غشى الظلام ليلك

تُظَلُّ تَعَبْرَ قَفْرًا بظْلَفِ الْمَهَا مُحَبَّرٌ * وَ لَا حُصَلْتُ عَلَى طَائِلٍ
بَعْدَ رَكْضِ خَيْتِكَ

"العذاب الاكبر" هو الجامع لألم القلب و الجسم فالقلبي كالحزن و الشوق و نحوهما و الثاني كالحمى و الصداع و نحوهما و "لا جرى" أي بقى لك أيها القلب في هجرتها إلا ميلك عنها إلى سواها لا أحدا غيرك فتشكوه فخاب سعيك الذي سعيتيه و حبط عملك و أبيت أي امتنعت أن تصبر على المخالفة لمحبتك و حين اشتدت رغبتك في وصلها و رهبتك من هجرتها و ضاق سبلك في السلوك إليها و صرت أحوج ما يكون ابتليت بالهجر الشبيه بالظلام فصرت حيرانا لا تجد سبيلا إلى وصلها يهديك إليه و معنى "تعبر" تقطع و "الظلف" للأنعام كالظفر للإنسان و "المها" بقر الوحش و "المحبر" الموشى المرقوم و معنى "على طائيل" أي نفع تعتد به و "الركض" عدو الفرس و المعنى أي لم تزل أيها القلب نائها بسبب مخالفة أمرها كمن تاه بقفز لا أنيس فيه مرقوم بأثر أظلاف المها فهو يذهب و يجيء فيه من غير أن يحصل على طائل أي فائدة فأنت مثله في تيهك. قال طرفة بن العبد:

فيا لك من ذي حاجة دونها جبل * و ما كل ما يهوى امرؤ هو

نائله

و قال الحيص بيص:

أقول لنفسي في الخلاء ألومها * لك الويل ما هذا التجلد و

الصبر⁶⁹

إلام يراك المجد في زي شاعر * و قد نحلت شوقا فروع المنابر

كتمت بصيت الشعر علما و حكمة * ببعضهما ينقاد صعب

المفاخر

قال الناظم رحمه الله:

يَا خَسَارَةً رَكُضَ شَبَابِي شَقَا وَ حَرْمَانَ * فِي مَحَلٍّ لَا تَعْرِفُنِي

كُوعَابِ أَهْلُهُ

نُظِّلَ نَاقِفٌ حَنْظَلٌ دَمَعِي سَجِيمٌ هَيْمَانُ * وَ الْعُقُولُ غَلِيٌّ مَنْ كُلُّ

حَدِّ دَهْلُؤَا

شبه شبابه بفرس راكض و "الشقا" التعب و "الحرمان" المنع و الخيبة و "الكواعب" الجارية التي ظهر ثديها و شال أي رفع الثوب عن صدرها و "الناقف" هو شاقّ الحنظل عن حبه أي يظل دمعي يسيل بسبب هجرها و لا أملك حبسه كمستخرج حب الحنظل لأنه من شدة حرارته لا يملك من شقه دمعه ففي كلامه تشبيهه بحذف الأداة فشبه ما جرى من دمعه لأجل هجر محبوبته

⁶⁹ من قصيدة سلمة بن يزيد الجعفي.

بناقف الحنظل و الجامع أن كلا منهما لا يملك دمه. أخذه من قول امرؤ القيس:

كأني غداة البين يوم تحمّلوا * لدى سمرات الحيّ ناقف حنظل
و "السجيم" المتقاطر و "الهيمنان" الفائض و قوله "و العقول الخ"
و الحال أن عقول كل من يراني من أهل المحل قد ذهلت علي
حتى لا أخطر لهم ببال و هكذا المحب الغريب عن أوطانه
فقوله في محل متعلّق بقوله "ركض شبابي".

سُلْطَانُ الْحُبِّ سَامِنِي بِحَسَامِ صَقِيلٍ * وَ افْتَى فِي الْغَرَامِ

بِالسَّجْنِ الطَّائِلِ

وَ الْهَجْرُ يَقُولُ قَيْدُوهُ بِكَبْلِ ثَقِيلٍ * حَتَّى نَنْظُرَ قَضِيَّةَ الصَّبِّ

الْمَائِلِ

وَ دُمُوعِي فَأَيْضَةً تُكَذِّبُ فِي الْفَيْلِ * تَحْكِي عَنِّي لِمَنْ بَعَى الْقَتْلَ

مُسَائِلِ

مَا بَرَحْتُ عَنْ خُدُودِي رَحْمَةً وَ وَسَائِلِ

"الحب" المحبة و هي معروفة. قال القشيري " و لا توصف
بوصف و لا تحد بحد". و قد شبه الناظم ما ذكره من الحب و
ما بعده بجماعة اتفقت على ضره و اجتمعت للمشاركة في أمره و
"سامني" بمعنى أراد قتلي "بحسام صقيل" أي سيف صافي مجرد

قال أهل اللغة يقال فلان سام ببني فلان خطّة الخسف أي كلفهم بها أو أرادها لهم و "الغرام" الشوق و "الهجر" ضد الوصل و "الكبل" أي القيد الثقيل هو الذي لا يقدر معه على الحركة و قوله "حتى الخ" أي أتركوه حتى ننظر ما يجب على هذا الصب الذي مال عن محبوبه و خان عهده. قال كثير بن عبد الرحمان في غاضرة جارية أم البنين:

فإنك موشك ألا تراها * و تعدو دون غاضرة العوادي

و "الصب" بالكسر من الصبابة و من رقة العشق و حرارته و قيل سمي بذلك لأنه تصب دموعه و معنى "المائل" أي الخارج عن محبة محبوبه إلى الهجر و التقاطع و قوله "و دموعي فايضة الخ" أي أنها لفيضانها تكذب بلسان حالها ما قيل في جانبي و نسب إلي من الميل و تحكي نيابة عني لمن طلب قتلي مسائل كثيرة يقبل بها عذري و ترد ما قيل في من غير ذلك و هم لا يقبلون عذري. قال النعمان بن المنذر ملك حيرة:

قد قيل ما قيل إن صدقا و إن كذبا * فما اعتذارك في قول إذا

قيلا

و قوله "ما برحت الخ" أي أنها لم تزل سائلة على خدودي حال كونها راحمة لي و وسائل تتوسل لي عند من يرى قتلي و حبسي

في العفو عني و الصفح ثم أخبر أنه تاب من ذنبه و انزجر
عما صدر منه و أن لا يهوى بعد ذلك غيرها فقال:

غَيْرُ مَوْلَاتِي مَا نَهَوَاهُ لَوْ هَوَانِي * مَنْ خَدَاتِ بَرَامِي نَحْوُ
الْمَقَامِ الْأَطْهَرِ

تَهْتُ لَوْ لَا الْعُرَّةَ مَدْحُورَ فِي هَوَانِي * حِينَ لَاحَ النُّورُ عَرَفْتُ
الْجُبِينَ الْأَزْهَرَ

مَا تَهَبُ نَسَائِمَ مَنْ رَبَوَةَ الْعَوَانِي * الْأَوْ مِنْهَا الْجَسْمُ وَقَفَ
نَصَبَ عَيْنٍ وَ ظَهَرَ

مولاته هي محبوبته و أقر على نفسه أن لا يهوى غيرها و لو
هواه ذلك الغير رعيًا لوصالها و طلبًا لدوام مودتها. قال النابغة
الجعدي:

بدت فعل ذي ودّ فلما تبعتها * تولّت و أبقت حاجتي في فؤاديا
و حلّت سواد القلب لا أنا باغيا * سواها و لا عن حبا متراخيا

و "الزمام" بكسر الزاي ما يقاد به و أراد بـ"المقام الاطهر" العفاف
و في الحديث "من تاقت نفسه لشهوة و منعها منها فله الجنة". و
كان توبة الشاعر خلا بليلي الأخيلية يوما فهم بإيقاعها فمنعته و
وعظته و قالت:

و ذي حاجة قلنا له لا تبح بها * فليس إليها ما حييت سبيل

لنا ثالث لا ينبغي أن نخونه * و أنت لأخرى صاحب و خليل
و "التايه" هو الماشي في غير هداية و "المدحور" المطرود
المبعد عن الرحمة و "الهوان" ضد العز و "الجبين" واحد
الجبينين و هما جانبا الجبهة و قوله "حين الخ" أي تهت و ما
عرفت السبيل إليها إلا من حين لاح نورها من جبينها الأزهر و
"النسائم" جمع نسيم و هي الريح اللينة و "الربوة" المحل المرتفع
و "الغواني" جمع غانية و هي المرأة التي استغنت بجماله عن
الحلي. و المعنى ما يهب نسيم من ربوة كل غانية و المراد
الوصل الأتي منها إلا وقف جسم كل غانية منهن نصب عيني
ظاهرا لا يخفى علي منه شيء و في كلام الناظم الجناس التام
و الناقص و الاستعارة و غير ذلك.
قال الناظم رحمه الله و رضي عنه:

إِذَا اسْتَاكَتْ وَ افْتَرَّتْ ضَاكَّةً بَيِّبَانَ * كَالْجَوَاهِرِ يَا عُدَّالَ

السَّبِيلِ خَلُّوا

رَاضِيَةً مَا تَغْلُقُ مِنْ دُونِ حَدِّ بَيِّبَانَ * كُلُّ مَنْ جَاهَا قَاصِدٌ

لِلْحَمَى دَخَلَهُ

"استاكت" جعلت السواك و هو أما بعود الأراك بفتح الهمزة و هو
شجر مر أو بالإسفل بكسر الهمزة و سكون السين و فتح الحاء

شجر بأرض الحجاز مثل الإثل رقيق الأغصان قال عمر بن
ربيعة المخزومي:

إذا هي لم تستك بعود أراكة * تتخل فاستاكت به عود إسحل
حكي أن عليا رضي الله عنه وجد فاطمة رضي الله عنها تستاك
بعود الأراك فقال:

تمتعت يا عود الأراك بثغرها * ما خفت مني يا أراك أراك
لو كان غيرك يا سواك قتلته * ما فاز مني يا سواك سواك
يقال افتر إذا ضحك ضحكا حسنا و أصله الكشف عن أسنان
الدابة ليختبر سننها و "النيبان" هم الذين خلف الرباعيات و قوله
"يا عدّال الخ" و المعنى أقول إذا استاكت و ضحكت فتبسمت و
ظهرت أسنانها منظمة كالجواهر و انجذبت إليها من غير اختيار
مني يا عدّال خلّوا الطريق و تحوا عني فإني لا أسمع قولكم و
لا التفت للومكم⁷⁰ فالسبيل مفعول مقدم بـ"خلّوا" و قوله "راضية
الخ" أي كأنه قيل له فإن خلّوا لك الطريق فإنها لا تمكّنك من
الدخول عليها فقال لأنها راضية ما تعلق بابها دون أحد و أراد
بـ"الحمى" وصلها و عطفها أي كل من جاءها قاصدا لوصلها و
عطفها مكنته و وفّت له لأنها كريمة سهلة الجانب واسعة الفناء
حسنة المداراة. قال الحطيئة:

⁷⁰ يليه في م 3: فإن هذا يوم سفرت فيه المسفّرات و نامت فيه أعين المضرات.

متى تأتته تعشوا إلى ضوء ناره * تجد خير نار عندها خير موقد
قال الناظم رحمه الله:

مَنْ جَاهَا قَاصِدَ الْحَمَى وَالَهُ تَحْمِيَهُ * وَ تَوَاصَلَ مِنْ قَطْعٍ وَ لَا
تَقْبِضَ بِقَدِيمٍ

حَاشَاهَا الْمُدْعَى مُحِبَّتُهَا تَرْمِيَهُ * مَا فُقِيَ عَنْ نِيَازِهَا فِي الدَّهْرِ
عَدِيمٍ

مَا نَخَشَى لَوْمَ حَدِّ سَرِّي مَا نُكْمِيَهُ * تَعْرِفُنِي النَّاسَ عِبْدُهَا
عَاشِقٌ وَ خُدِيمٌ

بَسَطْتُ لِي مَجْلَسَ الرُّضَا لِلشَّرْبِ نَدِيمٍ

"الحمى" في الأصل أرض محظر عليها لا تقرب إلا بإذن من
حماها. قال جرير لعبد الملك:

أبحث حمى تهامة بعد نجد * فما شيء حميت بمستباح
و المراد هنا من جاء لهذه المحبوبة قاصدا جانبها و كنفها حال
كونه والها أي خائفا تحميه و تمنعه من كل سوء يحصل له
الأمن لعزة جانبها و تواصل بإحسانها كل من قطعها لحسن
مداراتها و لا تؤاخذ أحدا بذنب قديم لحملها و "حشاها" أي أنزهها
أن ترمي أي تعرض عن مدعي محبتها لقوة كرمها. قال
الشاعر:

و من يقترب منا و يخضع نؤوه * فلا ظلم يخشى ما أقام و لا

هضما

و قوله "ما قفى" أي ما رحل عن ديارها العزيزة الجانب مدة
الدهر "عديم" أي فقير كارها لها بل من حل فيها أقام في أرغد
عيش و هناء غير ناوي رحلة و لا مشتهي نقلة و قوله "ما
نخشى الخ" أي لا أخاف في إباحة سرها و إظهار حبها لوم أحد
من الناس و لا عدله لأنه قد شاع بين الناس و اشتهر أني
محبها فكل الناس يعلمون أني عاشق لها و من عبيد خدمتها لا
أعصي لها أمرا لأن "المحب لمن يحب مطيع". و كيف لا و قد
"بسطت لي" أي أوسعت لي مجلس الرضا و البشاشة و الوصل
و إزالة ضد ذلك و جعلتني نديما للشرب معها من راح محبتها
لأنها شمس تحت سحب النقاب و غصن في أوراق الشباب. و
"النديم" لغة هو الذي يشرب معك الخمر و الجمع ندماء و المفرد
نديم كما قال و ندمان أيضا و النديم أعظم مرتبة عند الملوك.
ألا ترى أن مالكا و عقيلما جدا عمرو ابن أخت جذيمة و قد
كان استهوته الجنّ و يئس منه فلما قدما به عليه قال لهما
"حكمكما" فقالا "منادمتك" و لو كانت هناك مرتبة أشرف منها لا
سألاه إياها. و سمي النديم نديما لأنه يندم على مفارقتة لوجود
الراحة و الأنس به أو لأنه يندم ما وقع منه حال سكره و له

شروط عند أهله. و في كلام الناظم الجناس الناقص و الاستعارة.

قال الناظم رحمه الله و رضي عنه:

فِي بَسَاطٍ هَوَاهَا ضَمُّ الصُّبُوحِ شَمَلِي * وَ مَا ابْصَرْتُ سَنَوَاهَا بَيْنَ

الدُّنَانِ سَاقِي

نَشْرُبُ بَغِيرَ عَقْلٍ حَتَّى دَبَاتَ نَمَلِي * فِي كُنَائِنِ جَسَدِي مَنْ

هَامَتِي لَسَاقِي

فَصَمَّتْ غَرَايَا بِيَدِيهَا وَ قُصَّتْ حَمَلِي * مَنْ الْهَمُومُ وَ عَمَّرْتُ مَنْ

الطَّرْبُ وَسَاقِي

"البساط" ما يجلس عليه و إضافته للهوى استعارة و "ضم" بمعنى جمع و "الصباح" ما حلب من اللبن بالغداة ضد الغبوق و هو ما حلب بالعشاء و "الصباح" أيضا ما يصبح عندهم من شراب و هو المراد هنا و منه قول عدي بن زيد العبادي:

عزموا على الصباح فجاءت * قينة بيدها إبريق⁷¹

و "الدنان" جمع دن و هو الإثناء الذي يكون فيه الخمر و لا يقعد إلا أن يحفر له شبه الجرار و "الساقى" هو الذي يدور بين الندماء بكؤوس الخمر. قال ابن العفيف:

و رب مهفهف وافي بكأس * و باقة نرجس فسقى و حيّا

⁷¹ و في المراجع: "و دعوا بالصباح يوما فجاءت * قينة في يمينها إبريق".

فهل أبصرت في الأفق شمسا * سقى شمسا و حى بالثريا
و قوله "دبات" من الدبيب و هو إحساسك بشيء في جسدك كأنه
النمل ماشيا تحت الجلد و "كنائن" الجسد هو الدواخل المستورة
منه و قوله "ما ابصرت سواها" أي ما بصرت ساقيا غيرها
يسقيني بل كانت هي المتولية للسقي و المناولة لي الراح و قد
صرت أشرب من يد الكريمة حتى أجد في دواخل جسمي كأن
النمل يمشي من رأسي إلى ساقني و قوله "قصمت النخ" الفصم
هو الحل و القطع و "عرايا" جمع عروة تكون في "غراير" الحمل
تجعل واحدة في الأخرى و يجعل فيها عود و "قصت" بمعنى
رمىت أكثر ما يستعمل. و "الواساق" جمع وسق أصله ستون
صاعا و المراد هنا الأحمال و المعنى أنها قطعت العلائق التي
كنت متمسكا بها فبسبب ذلك رميت عن كاهلها الحمل الذي
كنت حاملا له من الهموم و عمّرت أحمالي بأوساق من الطرب
و السرور. في كلامه الجناس اللاحق و التام.

قال الناظم رحمه الله و رضي عنه:

كُرْمَهَا الرَّاهِي خَيْمٌ فِي جَنَّاتِ رَضْوَانٍ * وَ انْسَقَى بِالْكَوْثَرِ بَيْنَ

الرِّيَاحِينَ اصْنُهُ

كُلُّ مَا ثَقُلَ شَارِبَهَا يَزِيدُ سَلْوَانَ * فَوْزٌ قَوْمَ كَرَامٍ لَذَاكَ الْمَقَامِ

وَصَلُّوا

و المراد بـ"الكرم" شجر العنب و "الزاهي" عنبه الذي ظهرت فيه الحلاوة و "خيم" أي قام و "الجنان" الجنة و أضافها إلى "رضوان" لكونه خازنها و "الكوثر" واد في الجنة تشرب منه أمته | و "الرياحين" نوع من الشجر طيب الرائحة و "ثقل شاربها" هو فتوره و رخاوته أو تراخيه في شربها و "السلوان" التصبر و معناه أن الخمر التي عصرت من ثمرة تلك الكرم التي سقيتها خيم في الجنة أي أقام في رياضها و سقى أصله بين رياحينها بماء الكوثر فكلما ثقل شاربها في شربها أي تهادى فيه يزداد سرورا و تسلية عند الأحزان فيا فوز قوم كرام بلغوا المقام و الشرب لهذه الراح أي علت ربتهم حتى صاروا ممن يشربها. أو ان المراد الجنة و ذلك أنه لما ذكرها اشتاق إليها فقال "يا فوز الخ" و لا شك أنه كنى بالخمير عن المحبة الربانية كعادة الصوفية.

تتبيه: قال شهاب الدين الخفاجي في شرح الشفاء "الجنة في السماء" و قال في موضع آخر "خميرها ليس له سكر هـ." قال تعالى ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾⁷². قال زهير:

و هل ينبت الخطى إلا وشيجه * و تغرس إلا في منابتها
النخل

قال الناظم رحمه الله و رضي عنه:

⁷²س. 47. \37.

هَلْ لِي مِنْ جَارِيَةٍ إِذَا لَاحَتْ كَالشَّمْسِ * يَغْرِبُ بِهَا السَّرُورُ فِي
وَسَطِ ائْتَانِي

مَنْ رَاحَةٌ جَارِيَةٌ إِذَا تَرَفَعَهَا الْخَمْسُ * يَشْعَلُ نَبْرَاسَهَا عَلَى رُوسِ
بَنَانِي

حَتَّى تَسْمَعَ كُؤُوسَهَا لِأَنْفَاسِي هَمْسُ * فِي حَضْرَةٍ مَنْ رَفَعُ
بُصُوتِي وَ اِغْنَانِي

كَيْفَ فَنَى فِيهِ قَوْمٌ بِالْوَجْدِ ائْتَانِي

"هل" هنا للتمني كالتي في قوله تعالى ﴿فهل لنا شفعاء يشفعوا لنا﴾⁷³ عند بعض البيانيين خلاف للمرادى⁷⁴. و "الجارية" الخمرة و الجارية الثانية إحدى الجوارى و "النبراس" المصباح أي ليتني أشرب خمرة يلوح نورها كالشمس و "يغرب" أي يغيب بسبب ظهورها السرور في باطن جسدي "من راحة" أي بيد جارية إذا ترفعها أي ترفع كؤوسها أصابعي الخمس من يدها يشعل نبراسها بالكسر أي مصباحها و المراد نورها الشبيه بالمصباح على رؤوس أصابعي و هم المراد بـ"البنان" الماسكة للكأس من يد الجارية حتى تسمع في كؤوسها لأنفاسي صوتا خفيا من فرط السكر و غلبته و يكون ذلك الشرب في حضرة الحبيب الذي

⁷³س. 53/7.

⁷⁴و هو النحاس النحوي المصري المتوفى عام 264هـ.

أشاع ذكري و رفع قدري و أغناني عن غيره و أفناني في ذاته و حبه بالوجد الدائم كما أفنى قوما كراما من أهل المحبة حتى صاروا لا يدركون سواه و لا يثبتون لأنفسهم وجود. قال لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل * و كل نعيم لا محالة زائل

تتبيه: الوجد شدة العشق من وجدت بفلانة وجدا إذا أحببتها حبا شديدا و الكأس إناء يشرب فيه الخمر و لا يسمى بذلك إلا إذا كان فيه خمر. قال ابن الأبار الإشبيلي:

أعطيت الكأس فاستحسننت مدامها * من ذلك الشنب المعسول

بالبرد

و "النبراس" بكسر النون القنديل. قال الحكماء ثلاثة تضني أي تهزل: "رسول بطيء و نبراس لا يضيء و مائدة ينتظر إليها من يجيء". و "الفناء" بالفتح هنا و هو على مصطلح الصوفية سقوط الأوصاف المذمومة و يقابله البقاء و هو قيام الأوصاف المحمودة فالفناء و البقاء ضدان و "الوجد" عند الصوفية ما يصادف القلب و يرد عليه بلا تعمل و غالب من يسقي الخمر لأهلها أما الغلمان أو الجواري الحسان.

غريبة: كان للملك بلكين بن زيري الصنهاجي أربعمائة جارية و بشر في يوم واحد بولادة سبعة عشر ولدا و هو الذي أخطت الجزائر و المدينة و مليانة و البقاء لله.

لطيفة: ذكر ابن همام أن أبا عامر بن شهيد حضر ليلة عند الحاجب المظفر بن المنصور بن أبي عامر بقرطبة فقامت تستقيم جارية عجيبة صغيرة السن و لم تزل تصهر في خدمتهم إلى أن هم جند الليل بالانهزام و أخذ في تقويض خيام الظلام و كانت تسمى أسيماً فعجب الحاضرون من مكابذتها الصهر طول ليلتها على صغر سنها فسأله المظفر وصفها فقال ارتجالاً:

أفدي أسيماً من نديم * ملازم للكؤوس راتب
قد عجبوا في السهاد منها * و هي لعمري من العجائب
قالوا تجافى الرقاد عنها * فقلت لا ترقد الكواكب

قال الناظم رحمه الله:

دِيرهَا يَا سَاقِي وَ الرُّوحَ فِي التَّرَاقِي * فَازَ مَنْ رَاحَ مَخْمَرٌ
لِلنَّبْسَاطِ مَثْمُولٌ
لَا تَعَاظِينِي مَنْ شَامِي وَ لَا عَرَاقِي * وَ لَا تَقْتُلْهَا يَبْقَى لِي
السَّرُوزُ مَكْمُولٌ
صَرَفَ رَوْنِي قَلْبِي لِلْحَبِيبِ رَاقِي * عَسَى وَ عَلَّ يَلْقَانِي بِالْكَحْمِيتِ
مَثْمُولٌ

معنى "ديرها" أي دور الخمر على أهل المجلس و "الروح" هي الحياة و فيها خلاف كثير و "التراقي" جمع ترقوة و هو العظم

الذي بين ثغرة الحلق و العاتق و "المثمول" هو السكران. قال أبو حية النميري لما كبر سنه و ضعف:

و قد جعلت إذا ما قمت يشقلني * ثوبي فأنهض نهض الشارب
الثل

أي السكران و معنى كلامه أيها الساقى در علينا هذه الراح أي الخمر في كل حال حتى في حال كون الروح بالغة التراقي و ما بقي إلا إزهاق الروح فإن الفوز لمن راح لبساط الحبيب سكرانا. و قال حرقوص المري:

ألا فاسقياني قبل فجئة رقدة * أكون بها طول الليالي في القبر
و "الشامي" و "العراقي" الخمر المنسوب لهما و قوله "لا تقتلها" معناه لا تمزجها بالماء. قال في القاموس "قتل الشارب مزجه بالماء". و قال مسلم بن الوليد:

إذا شئتما أن تسقياني مدامة * فلا تقتلها كل ميت محرّم
خلطنا دمًا من كرمة بدمائنا * فأظهر في الألوان مئا الدم دم
و قال أبو نواس:

توارت على الأبصار من عهدة آدم * حذار الكون الماء يوما
قرينها

و قال الأخطل:

فقلت اقتلوها عنكم بمزاجها * و حبي بها مقتولة حين تقتل

و قوله "صرف" أي بلا مزج و "راقي" بمعنى مرتق أي صاعد إلى حضرة الحبيب فعسى و عل إذا سقيتها صرفا أن أسكر بحبه فيلقاني على تلك الحالة سكرانا بخمر محبته فيعطف علي و يأخذ بيدي. و عل لغة في لعل. قال صخر بن الجعد الخضري:

فقلت عساها نار كأس و علها * تشكي فأتي نحوها فأعودها
و ذهب بعض النحاة إلى أن عل مجاز عن التعليل و "الكميت"
من أسماء الخمر و معنى "مشمول" سكران بالشمول و هي
الخمر الباردة التي تميل "للصفورة". قال الأفيشر:

فقلت لو باكرت مشمولة * صفراء كمثل الفرس الأشقر⁷⁵
و سميت شمولا لاشتغالها على عقل شاربها و قد استوعبنا غالب
أسمائها في كتابنا المسمى "الحلل الحريية في شرح المقامات
الحريية". و في كلامه جناس الاشتقاق و الجناس الناقص.
قال الناظم رحمه الله:

تَذْهَبُ عَلَى الصَّاحِي مِثْلُ السَّرَابِ الْأَزْمَانِ * كَيْفَ يَدْرُكُ مَعْنَاهَا
مَنْ أَعْمَاهُ جَهْلُهُ
الرَّحِيقُ لِحَقِّ بِالنَّسْبِ الْكَرِيمِ سَلْمَانِ * شَافَ نُورَ الصَّهْبَا مِنْ
جَيْلٍ ضَلَّتْ أَهْلُهُ

⁷⁵ "صهباء كلون الفرس الأشقر".

"الصاحي" ضد السكران أي أن من كان صاحيا من سكر هذه الخمر تذهب عليه الأزمان كالسراب ضياعا يظنها شيئا و ليست بشيء. و ما صحي منها إلا لكونه لم يدرك معناها و حقيقتها و ما تودع في قلب شاربها من السرور و قد غلب عليه الجهل حتى أعمى عين بصيرته و ذهب عمره باطلا. قال القاضي عبد الوهاب⁷⁶:

أليس من الحرمان أن لياليا * تمر بلا نفع و تحسب من عمري
و قال ابن الفارض:

فلا عيش في الدنيا لمن عاش صاحيا * و من لم يمت سكرًا بها
فاتته الحزم

و قال غيره⁷⁷:

فصحوك من لحظي هو الوصل كله * و سكرك من لحظي يبيح
لك الشربا

فما مل ساقبها و ما مل شارب * عقار لحاظ كأسها سكر اللبا⁷⁸
و "الرحيق" هو الصافي من الخمر و "الصهباء" من أسمائها
يعني أن هذا الرحيق الذي طلب الاستزادة من شربه و ادعى أن

⁷⁶ وقيل للعباس بن الأحنف و قيل للتهامي الأقطع.

⁷⁷ أي أبو علي الروذباري.

⁷⁸ "فسكرك من لحظي هو الوجد كله * و صحوك من لفظي يبيح لك الشربا/فما مل ساقبها و ما مل شارب * عقار لحاظ كأسه يذهب اللبا".

من صحي منه تذهب أزمانه كالسراب هو خمر المحبة الذي صير سلمان الفارسي رضي الله عنه لاحقاً بنسب رسول الله صلى الله عليه و سلم الذي لا نسب أشرف منه لكونه ارتفع عن بصيرته غطاء الجهل فشهد نور هذه الصهباء و تجلى له مع بعد أرضه فأضاء له فاهتدى به إلى طريق النجاة بعد ما نالته مشقات في طلب تلك الطريق حتى جار عليه بضعة عشر ملكاً و قد قال فيه | " سلمان منا أهل البيت".

و هو مراد الناظم و لله در من قال⁷⁹:

عليك بتقوى الله في كل حالة * و لا تترك التقوى اتكالا على

النسب

فقد رفع الإسلام سلمان فارس * و قد وضع الكفر الشريف أبا

لهب

لطيفة: كان بعض أهل البصيرة ماراً بحانة خمر فسمع رجل بها

يقول⁸⁰:

إذا العشرون من شعبان ولّت * فواصل شرب ليلك بالنهار

و لا تشرب بأقداح صغار * فقد ضاق الزمان على الصغار

⁷⁹ صاحب بن عباد أو الإمام علي.

⁸⁰ و قيل أبو نواس.

فالقائل لكونه جاهلا ما أراد إلا الخمر و السامع لكونه من
العارفين فهم أن العمر إذا انقضى ثلثاه و ذلك أربعون سنة
فواظب على العبادة فقد ضاق الوقت عليك قلت لهذا لما سمع
رجل قائل يقول بحضرة مكين الدين ابن الأسمر قال فيه الشاذلي
إنه من "الأبدال" هذا الشعر:

الراح أشرف شيء أنت شاربه * فاشرب و لو حملتك الراح أوزار
يا من يلوم على صهباء صافية * خذ الجنان و دعني أسكن
النار

فقال هذا الشعر لا يجوز إنشاده فقال ابن الأسمر للذي ينشد "قل
هذا رجل محبوب". و لله در من قال:

ترى كل إناء بما فيه يُرشح

قال الناظم رحمه الله:

اسقيني بالكبير يا خمّاز ظميت * هذا وقت المواصلّة طال
زمني

من لي بسوايغ الرضا للقلب الميت * نصبر لو صح لي من
الفوز أمني

رويني من زلالها به اهتيت * ندفع لك كل ما على منك

إيماني

نحلف لك ما عرفت ساقى بإيماني

"الكبير" صفة لموصوف محذوف أي الكأس الكبير و "الخمار" بائع الخمر و "ظميت" عطشت و "المواصلة" أي مودة الحبيب و وصله و مساعدته إياي و إذا فات هذا الوقت فمن لي بساعات الرضا "السوايع" أي الواسعة فمن يكون لي كفيلا بذلك فقد طال زمان هجري. و قوله "للقلب الميت" أي بالقطيعة و إحيائه بما يحصل له من الأتس و الوصل و لما طلب السقي خشي أن يقال له أ فلا تصبر فقال نصبر لو صح لي الأمان من فوت ذلك أما حيث لم يحصل لي أمان من فواته و لا طمع في رجوعه كيف أصبر. و "الزلال" كغراب العذبة الصافية و الاهتمام تعلق القلب. و قوله "تدفع الخ" أي أنك إذا رويتني من الخمر الصافية ندفع لك كل شيء "على ملك يميني" بمعنى أهب لك جميع ما أملك و أحلف لك بإيماني المغلظة إنني لا أعرف ساقيا غيرك أي لا شربت خمرًا إلا من حانتك و الحانة بيت الخمار. حكي أن أبا الأسود الدؤلي أمر مولى له أن يذهب ببضاعة يتجر بها في أرض الأهواز فلما وصلها دفعها كلها في شرب الخمر فلما أخبره بذلك قال مخاطبا له:

دع الخمر يشربها الغواة فإنني * رأيت أباها معدما لمكانها
فإن لا يكنها أو تكنه فإنه * أخوها غذته أمه بلبانها

و المراد بأخيها النبيذ أي أتركها و أشربه و في كلام الناظم
الجناس التام و الناقص و الاستعارة.
قال الناظم رحمه الله:

عَلَّنِي يَا سَاقِي بِالرَّاحِ فِي مَسَاقِي * حَابٌ مِنْ مَحْبُوبِهِ مَنْ لَا
يُرُوحُ مَوْسُوقٌ
إِذَا التَّفَّتْ سَاقِي يَوْمَ النَّوَى بِسَاقِي * وَ انْتَهَضَ دَلَالٌ أَوْسَاقِي
يَعْمَرُ السُّوقُ
فِي نَهَازٍ أَنْ يَصْدَى الثُّغْرُ مِنْ بَصَاقِي * وَ لَا تَكَلَّفْ تَمْشِي بِيَّ
لشَهْوَتِي سَوْقٌ

"العلل" الشرب الثاني و "النهل" الشرب الأول قال كعب بن زهير
لأخيه بجير:

فانهلك المأمون منها و علكا⁸¹

و "الراح" الخمر أي اسقيني الخمر ثانيا في حالة "مساقِي"
للحبيب أي ذهابي إليه فكأن الحب هو الذي يسوقه و "الموسوق"
أصله البعير الحامل و أراد به هنا امتلاء البطن من الخمر أي
و إذا أذهب شعبانا خمرا حصل لي الفوز برضاه لأن من لا
يروح له بذلك تحصل له "الخبية" الخسران. فالشطر الأخير
مفهوم من قوله فيما مرّ "فاز من راح مخمر للبساط مثمول". و

⁸¹ "شربت مع المأمون كأسا روية * فانهلك المأمون منها و علكا".

قوله "إذا التفت ساقى الخ" أراد شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة
و قوله "و انتهض" أي نهض بمعنى قام "دلال" أي سمسار
"اوساقي" أي ذنوبي يعمر سوق المحشر بها و ذلك في نهار ان
يتسخ ثغري أي أسناني بالصدى بما يتجمد عليها من بصاقي
لشدة اللف و العطش. و لا "تكلف" أي لا تطيق سوقي أي
ساقى على أن -أقل الجمع اثنان- تمشي بي إلى ما اشتهيته
لشدة الضعف من كثرة السقم و المراد اسقيني مرة أخرى من
خمر المحبة لأستعين بذلك "إذا التفت ساقى الخ". "النوى" الفراق.
و حكي أن ولد أبي محجن الثقفي وفد على معاوية فأراد أن
يوقعه في محافل العرب فقال له "أنت الذي أوصاك أبوك بقوله":
إذا مت فادفني إلى أصل كرمة * تروى عظامي في التراب

عروقتها

و لا تدفني في الفلاة فإنني * أخاف إذا ما مت أن لا أدوقها

فقال له بل أوصاني بقوله:

و اضرب الضربة النجلاء عن ثبت * و اكنم السر فيه ضربة

العنق

و قال له معاوية أحسنت و أمر له بصلة. و في كلامه الجناس
النام و الناقص.

قال الناظم رحمه الله:

بَرْدٌ غَلِيلِي بِهَا ذَاهِبَةٌ بِالْأَحْزَانِ * مَا لِلْقَلْبِ اللَّاهِي قُوَّتُهُ وَ حَوْلُهُ
رَاحَتِي وَ سُرُورِي يَوْمٌ أَنْ تُخَفَّ الْأَوْزَانُ * مَنْ عَدَمَهَا يَوْمَ الشَّدَّةِ
يَطُولُ هَوْلُهُ

"الغليل" العطش الشديد و "ذاهبة" خبر مبتدى محذوف أي هي ذاهبة بالأحزان التي تغم القلب. قال ابن الفارض في ذلك:

لها البدر كأس و هي شمس يديرها * هلال و كم يبدو إذا
مزجت نجم

و إن خطرت يوما على خاطر امرئ * أقامت به الأفراح و
ارتحل الهَمّ

و قال أبو نواس:

إذا ما أتت دون اللهاة من الفتى * دعا همّه من صدره برحيل
و قوله "ما للقلب اللاهي الخ" أي أن قلبي لا قوة أي لا ثبات له
إلا بها و لا حول أي لا حركة له إلا بها و قوله راحتي أي هي
راحتي و سروري في اليوم الذي توزن فيه أعمالي لأنها تكون في
صحيفتي فتنتقل بها و كل من عدمها ذلك اليوم خفت موازينه
فيطول هوله و المراد بها خمر المحبة الربانية و قد قال رجل
لرسول الله | "متى الساعة؟" قال "ما أعددت لها؟" فقال "يا رسول

الله ما أعددت لها صلاة و لا صياما سوى إني أحب الله و رسوله". فقال له "المرء مع من أحب".

قال الناظم رحمه الله:

مَا صُنْتُ اسْرَارَهَا وَ لَا سِرَّ الْمَحْبُوبِ * لَكِنْ دَمْعِي يَبُوحُ بِجَمِيعِ

اسْرَارِي

كَيْفَ نُوَارِي قُرَائِحِي وَأَنَا مَرْبُوبٌ * فِي حَجْرِ الْحُسْنِ وَ الْبُهَا دَارُ

قُرَائِي

مَا تَتَحَرَّكَ بِهَوْنٍ مِّنَ الْأَطْلَالِ هُبُوبٌ * حَتَّى يَهْطَلَ عَلَى خُدُودِي

مَدْرَائِي

تَغْبِي فِي رَاحَتِي وَ طِيْبِي فِي مَرَارِي

يقال صان السر إذا كتبه و الضمير في "اسرارها" عائد على الخمر و معنى "نواري" نستتر و أراد بـ"القرايح" الفضائح و "المربوب" المملوك و "الاطلال" جمع طلل و هو الشاخص من آثار الديار كالكانون و الأثافي و نحو ذلك. قال امرؤ القيس:

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي⁸²

و قال آخر:

⁸² "ألا عم صباحا أيها الطلل البالي * و هل يعمن من كان في العصر الخالي".

لم ألق في الدار ذا نطق سوى طلل * قد كاد يعفو و بالعهد من
قدم

و قال النابغة الذبياني:

وقفت بربع الدار قد غير البلى * معارفها و الساريات الهواطل
"الساريات" جمع سارية و هي مطر الليل و "الهطل" تتابع المطر
و سيلانه و قوله "في حجر الحسن" أي ذات الحسن و "الهبوب"
ثوران الريح و المعنى إذا لم أكتم أسرار هذه الخمرة في مجالس
الشرب و لا السر الواقع بيني و بين محبوبي بل أذعت ذلك و
أفشيته لكن لم أفش ذلك بلساني بل دمعي هو الذي أباح أي
أظهر ذلك قهرا عليّ كما قال ابن الجهم:

ظهر دمعي فلا يكتم شيئا * و استمر اللسان ذا كتمان
و كيف أقدر على إمساك دمعي و نستتر الفضائح التي ظهرت
عليّ بسبب شوقي للخمر و لوصل الحبيب الذي سقانيها و أنا
مملوك ملزوم بالحب مجبور عليه و الدار التي هي قراري أي
مجلس سكنائي كائنة في حجر أهل الحسن و البهاء ملازم لهن
و من كان ملازما لهن لا بد أن يشتد كفه بهن. و لا يهب علي
نسيم "بهون" أي بلين من تلك الأطلال إلا هطل على خدودي
دمعي "المدرار" أي كثير الدر و المراد كثير السيلان و أن تعبي

في استراحتي من حمل هواهم و ترك زيارتهم و راحتي في تعبي.
و في ذلك قال الشاعر:

أخالك إن لم تغضض الطرف ذا هوى * يسومك ما لا تستطاع
من الوجد

قال الناظم رحمه الله:

الشَّرَابُ الِّى خَمَّرَنِى وَ عَلَّ جَسْمِي * مَن أَكْوَابُ الَّا شَافَتْهَا

غُيُونُ صَابِي

ضَمَّنِي وَ سَقَانِي سَاقِي مُوَافَقُ اسْمِي * مَن حُمِيَّةُ التَّرْيَاقُ

الْقَاتِلُ وَصَابِي

كَيْفَ يَخْفَاكَ اسْمِي يَا جَاهِلِي وَ رَسْمِي * وَ الْجَمَالَ الرَّوْحَانِي

الطَّيِّبِي أَوْصَى بِي

"خَمَّرَنِى" أي صيرني مخمورا و "عل" أي أمرض و "اللي" بمعنى الذي خمرني و أمرض جسمي بالشوق إليه و "الاكواب" مفرد كوب و هو الكأس الذي لا أذن له و لا موضع يشرب منه و "شافتها" بمعنى رأتها و "صابي" من صبى إذا اشتاق و يحتمل أنه واحد الصبيان المعبر عنه بقوله تعالى ﴿و يطوف عليهم ولدان مخلدون * بأكواب و أبريق﴾⁸³. و قوله "ضمني" أي أواني و موافقة اسمه لأن اسم هذا الساقى سعيد و كان مراده

⁸³س.17-18.

شيخه المريبي له. و "الحُمِيَّة" بضم الحاء المهملة أول سكرة الخمر أي شدتها قال في القاموس "سكرة الكأس و إسكارها". و "الترياق" دواء السم و هو معروف و "الوصب" الهم و "الرسم" الوصف و في معناه الوسم كما في بعض النسخ و "الروحاني" المنسوب للروح و "اوصى بي" أي ذوات الحسن و البهاء ليكفلنني فأنا معلوم لا أخفى على أحد و الله أعلم.

مَنْ مَحَاسِنَ سَعْدَى سَارَتْ بَرُوقُ الْأَمْرَانِ * وَ الْغَمَامَ دَعَى

الْوَحْشَ مِنَ الْفُجُوجِ ظَلَّهُ

يُدْفَعُ وَ يَمْنَعُ طُورٌ بَطُورٌ كُلُّ خَزَّانٍ * غَيْرِ خَزَّانٍ دُمُوعِي هَكَذَا

يُظَلُّوا

"سعدى" محبوبته و "محاسن" جمع حسن على خلاف القياس أو هو جمع لمحسن بزنة مقعد و "الامزان" جمع مُزن و هو السحاب أي دعا ظل الغمام الوحش من "الفجوج" جمع فج و هو معروف و المراد هنا من النواحي لأن عادة الذهاب إلى المواضع التي رأى البرق فيها ليشرّب من الغدران. و قوله "يدفع" أي يعطي و "يمنع" ضده و "الخزَّان" كفعال كثير الخزن و "الطور" هنا الحين و "خزَّان" الأخير جمع خازن و المراد عيونه و المعنى أن كل خازن لزرع و نحوه من شأنه أن يعطي مما خزنه تارة و يمنع أخرى إلا عيوني الذين هم خزَّان دمعي فإنهم لا يمنعون ما

خزنوا. و قوله "هكذا" إشارة لحالته المشاهدة يظلمه دائما كهذه الحالة التي تراهما ملتبسين بها و "ظل" هنا من أخوات كان و أصل معناها فعل نهار لأنه زمان يبدو فيه الظل ثم استعمل لدوام الفعل ليلا و نهارا و هو المراد.

قال الناظم:

ءَأَشُّ يَصْبِرُ عَلَى الْبُكَاءِ الْإِطْلَالُ * وَأَشُّ يَدَاوِي مَنْ أَلْهَى

قَلْبَ الْمَجْرُوحِ

كُلُّ بَكَاءٍ دُونَ فَرْقَةٍ الْمَحْبُوبِ ضَلالٌ * مَنْ خَلَّ جَاشَ صُورَتِي

جَسْمَ بِلَا رُوحِ

أَنَا الْمُقْتُولُ بِالْهَوَى صَدْرِي مَحَلالٌ * بِالْهَمِّ وَ الْأَمْتِحَانِ وَ الْفَرْقَةِ

مَقْرُوحِ

إِذَا سَدَّ الْحَبِيبُ بَابَهُ وَيَنْ نُرُوحِ

"الاطلال" جمع طلا و هو ما شخص من آثار الديار و رسومها كالأثافي و "الكنون" و "الونى" و هو حفير يجعل حول البيت لماء المطر و "النادب" هو الباكي فيها على أحبته لتذكره ما سلف فيها و من العجائب أن ابن خميس شرع في قصيدة يمدح بها أبا عبد الله بن الحكيم الترمذي رحمهما الله أول رمضان فلما قال في أولها:

لم المنازل لا تجيب صداها * محيت معالمها و صمّ صداها

لم يستطع أن يزيد شيئاً إلى أن انقضى رمضان و قتل ابن الحكيم و ابن خميس و هدمت الدار. و معنى "عاش" أي شيء و "الجاش" مهموز هو نفس الإنسان و قد لا يهمز كما في القاموس و "الروح" ما به حياة الأنفس و هي جوهر ساري في البدن سريان ماء الورد في الورد و هي مما لا يدرك كنهه. و المعنى أي من ترك نفس صورتني أي شكلي كجسم من الجمادات لا روح فيه و قوله "نروح" من الرواح و هو الذهب كما قالوا في قول الهذلي في مدح جملته بقوله:

أبو بيضات رائح متأوب⁸⁴

إنه من الرواح و هو الذهب و "المحلال" المنحل و "الامتحان" البلوى و معنى "مقروح" أي مريض بهمّ فرقة الأحباب و معالم أطلالهم. قال ذو الرمة غيلان⁸⁵:

تهاض بدار قد تقادم عهدها * و إمّا بأموات ألمّ خيالها

و من كلام بعد المحدثين:

فيا شوق ما أبقى و يا لي من النوى * و يا دمع ما أجرى و يا

قلب ما أصبا

و في كلامه الجناس الناقص و التعديد و الموازنة.

⁸⁴ "أبو بيضات رائح متأوب * رقيق بمسح المنكبين سيوح".

⁸⁵ تنسب إلى الفرزدق.

قال الناظم رحمه الله و رضي عنه:

الْحَبِيبُ دُعَانِي بِلُطَافَةِ الْمُعَانِي * اسْرَى بِنْتِ الْكُرْمِ سَرَى بِي

نُسَيْمٍ رَوْضُهُ

جَاتَ لِلْمُورِدِ هَيْمًا فَاحْمَةً تُعَانِي * مَا ابْتَلَّ صَدَاهَا حَتَّى عُشَّتْ

حَوْضُهُ

طِيبَ نَفْسٍ خُلَيْلِي يَسْعَاكَ مَا سَعَانِي * ذَا مَقَامٍ زَفِيعٍ بَلَّغْنَا قَلِيلَ

عَوْضُهُ

المراد بـ"الحيبيب" رسول الله | و إضافة "لطافة" للمعاني من إضافة الصفة للموصوف. يقال كلام لطيف إذا حلا معناه و خفي بحيث لا يفهمه إلا الحاذق و "سرى" أي سار ليلا "بننت الكرم" أي الخمر و المراد خمر المحبة التي استنشقت ريحها سلمان و بلال و صهيب و نحوهم رضي الله عنهم و قوله "سرى بي نسيم روضه" يعني سرى في جسمي فالباء ظرفية و "النسيم" ريح لينة تهب بالأسفار و "الروض" أزهار العشب العفيفة الأنيقة و "المورد" محل الورود و "هيما" أي عطش عطشا شديدا يقال إبل هيم إذا اشتد عطشها و في التنزيل ﴿فشاربون شرب الهيم﴾⁸⁶ و الهيام أيضا داء يأخذ البعير فيهوم في الأرض و لا يرمى و معنى "فاحمة" أي لا ندى في فمها و لا شيء باق من

⁸⁶س.56/أ.55.

ريقها و قد استعملت الفحامة أيضا في الذي لا يجد جوابا لكونه كأنه يبس ريقة. و "تعاني" من المعانات و هو التعب و "الصدى" العطش و البلل المراد به هنا الري و الضمير في حوضه عائد على الحبيب و هو النبي | أي أن أمته | جاءت في الموقف عطشى لهفا و ما تروى حتى تغشى حوضه | الذي قدر مسافته ما بين بصرة و عدن كما حققنا ذلك في شرحنا لدلائل الخيرات. و معنى "طيب نفس الخ" أنه ندا خليله بأنه يطيب نفسا و يقر عينا بهذه النعمة الكبرى التي لا نعمة أعظم منها و أسأل الله أن "يسعيك ما سعاني" أي يعطيك ما أعطاني من بلوغ هذا المقام الرفيع و الحصن المنيع القليل المثل الذي لا أجوع فيه و لا أعرى و لا أظمأ فيه و لا أضحى و الحمد لله على ذلك. قلت و ما هذا من عجيب حسن التخلص فله دره. ثم بيّن ذلك المقام بقوله:

مَقَامَ طَهَ الْمَكِّيِّ بَيْنَ الرُّضَا وَ الْأَمَانِ * مَا تَرَوَّعَ مِنْ وَحْشِهِ قَلْبُ

مَنْ وَصَلَ لَهُ

حُطَّ رَحْلُكَ يَا حَادِي الْعَيْسِ كُنْ مَضْمَانًا * ذِي مَنَازِلٍ مَنْ قَالَ

اللَّهُ عَلَيْهِ صَلُّوا

"طه" ن أسمائه | و انظر بسط الكلام عليه في شرحنا "الآيات البيّنات لدلائل الخيرات". و قوله "ما تروّع الخ" أي من بلغ هذا

المقام و دخل له لم يتروع من أهوال القيامة قال تعالى ﴿إِنْ
المتقين في مقام أمين﴾⁸⁷. و "العيس" الإبل البيض و المراد هنا
مطلق الإبل و "حاديها" هو المغني لها في حال سوقه إياها
لتطرب و تجد السير و "الرحل" ما على ظهورها مما يركب عليه
و المراد ما يعمه و يعم الحمل و "مضمان" أي مكفول من كل
ما تخشى لأن هذه منازل الرسول | الذي أمرنا الله بالصلاة
عليه تكريما و تشريفا التي هي روضة من رياض الجنة كما في
الحديث الصحيح أنه | قال "ما بين حجرتي و منبري روضة
من رياض الجنة". و في رواية "ما بين قبري" و هما بمعنى واحد
لأن قبره | في حجرة عائشة رضي الله عنها. قال الخفاجي "و
فيه أخبار بالغيب ه". و لله در القائل:

مواطن قد سار المدثر بينها * يحق لها التعظيم دون المواطن
فيا ساكنيها أنتم سادة الورى * و يا قاطنيها أنتم خير قاطن
و في كلام الناظم التسميط و جناس الاشتقاق و التردد و
الجناس المضارع و اللاحق و التسهيم. ثم أشار إلى تلك المنازل
بقوله:

هَدِي هِيَ الدِّيَارُ يَا بَاكِي الأَرْسَامَ * عَرَّاتُ يَدِ النَّسِيبِ لِلْمَدْحِ
عُطَاهَا

⁸⁷س.44/51.

هَذِي الرُّوحُ الْمُقَدَّسَةُ رَاحَةً الأَجْسَامِ * مَتْنُ البُرَاقِ مَلِكِ المُلُكِ

مَطَاهَا

هَذِي الرُّوضَةُ المُشْرِفَةُ دَفَعَتِ الأَنْسَامَ * هَذِي طِيبَةُ ضَحْكَكَ مَعَ

العَيْسِ وَطَاهَا

هَذَا عَيْنُ الوُجُودِ وَ الرَّحْمَةُ طَهَ

تخلص الناظم رحمه الله من تغزله إلى مقصوده و هو تخلص أنيق و صنع جيد رشيق فقد ذكر أول القصيدة رهط ممدوحه | و هم العرب و أماكن قطره كالبان و العقيق كما مرّ و ذكر هنا في أول المقصود منازلها | المعبر عنها هنا ب"الديار الخ" منها ما هو روضة من رياض الجنة كما مرّ و "الارسام" جمع رسم و هو ما كان لاصقا بالأرض من آثار الديار كالرماد و نحوه و أما الطلل فهو ما شخص من أثارها فهذا هو تحقيق الفرق بين "الارسام" و الطلل وقد مر لنا ما يخالف بعض هذا أتبعنا فيه بعض شراح البردة و الحق ما هنا. و معنى كلام الناظم يا باكي أرسام أحببتك و معاهدهم و طلل خلانك و أثارهم يحق لك أن تبكي هذه الديار المقدسة المشرفة المطهرة التي هي محل نزول الوحي و تندب أرسامها و طللها فهذا هو الأولى لك و الأليق بك و الواجب عليك لا ما أنت بالك عليه من غيرها. و "النسيب" التغزل و يسمى التشبيب أيضا. قال المتنبّي:

إذا كان مدح فالنسيب المقدم * أكل فصيح قال شعرا متميم
و المتميم هو المذلل بالحب و أثبت الناظم للنسيب يدا على
طريق الاستعارة بالكناية و تعريتها تخييل أي أن النسيب الذي
هو التشبيب لأنه كان ساترا يده و قد عراها حينئذ فشبهه برجل
كان ساترا يده بثيابه ثم أخرجها و أظهرها للناس فكأنه يريد أنه
في حالة التغزل كان مخفيا لمدح من قصده و الآن أظهره للناس
ففيه من رقة الصناعة و لطفها ما لا يخفى و ذكر الشعراء هذا
التغزل أول قصائدهم إنما هو للتشيط و لتهتارهم في المحبة. ألا
ترى إلى قول أبي الطيب المتنبي المار:

أكل فصيح قال شعرا متميم

فجرت عادتهم في تقديم مقدمة من التشبيب بالغلما و النساء
الحسان عن المقصود و يضمنون إلى ذلك ما كانت العرب
مولوعة بحبه أيضا مثل العيس و الخمر. و أهل الصلاح منهم
كالناظم إنما يعني به خمر المحبة كما مرّ لأن كل إناء يرشح
بما فيه. و "المقدسة" المطهرة من التقديس و هو التطهير و
معنى "راحة الاجسام" أي راحة الخلائق يوم القيامة من طول
الوقوف و ما بعده و "المتن" الظهر و "مطاها" أركبها إياه و
"البراق" دابة من دواب الجنة دون البغل و فوق الحمار و هي
مركوب الأنبياء و مطيتهم عليهم الصلاة و السلام. و قد ركبها

| ليلة الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فالأول
 مسجد مكة و الثاني مسجد بيت المقدس ثم صعد إلى السماء في
 المعراج. و مر معنى الروضة و "الانسام" واحدها نسيم من
 نسمت الريح نسيما و نسمانا و هو أول هبوبها بلين قبل أن تشتد
 و أما النواسيم فمفرده ناسمة. و "طيبة" من أسماء المدينة المنورة
 و "الضحك" معروف و المراد بالعيس هنا مطلق الإبل كما مر
 لا خصوص البيضاء منها التي تخالطها شقرة و "الوطا" المستقر
 من الأرض و ضحكه مجاز عن بسطه و لينه و معنى "مع
 العيس" أي للعيس. و "طه" من أسمائه | كما مر و هو | "عين
 الوجود" فكل الكائنات خلقت من نوره و السبب في كل موجود
 فقد ذكر الشيخ المهدي⁸⁸ في شرح "دلائل الخيرات" أن الله تعالى
 قال للنبي | "لو لآك ما خلقت الدنيا" الحديث. و هو | "عين
 الرحمة" أيضا قال تعالى ﴿و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾⁸⁹. و
 قد قال جبريل عليه السلام "هل أصابك شيء منها قال نعم"
 الحديث.

قال الناظم رحمه الله و رضي عنه:

⁸⁸ و هو محمد المهدي القصري الفاسي صاحب كتاب " مطالع المسرات بجلاء دلائل

الخيرات". توفي سنة 1063هـ.

⁸⁹ س. 21/107.

هَكَذَا مَنْ يَتَغَزَّلُ لِلْحَبِيبِ يَنْزِلُ * مَنْ الشَّوَاهِقَ مَرْتَفَعَةً لَلسَّمَاءِ

بِصَنْعَةٍ

مَنْ حَرِيرِ الْمَعْنَى خَيْطُ الْهَبُونِ نَغَزَلُ * دُونَ بُرْدِي سَنَدَسُ

عَبْقَرِي وَ حُوكُ صَنْعًا

نُظِّلُ عَنْ غَوْغَا النَّاسِ مَنَاسِجِي بِمَغَزَلُ * فِي مُحَاسِنِ مَنْ

حُصْنُهُ لَلطَّرِيدِ مَنَعَةً

مر معنى التغزل و قد جعل الناظم من يتغزل كالذي يصعد في "شواهق" أي جبال عالية مرتفعة أي زائدة في العلو للسماء و من يتخلص لمقصوده كالنازل منها أي أن من صعد في شواهق التغزل "المرتفعة" بمعنى المبالغ فيها فليكن نزوله أي تخلصه منها لمدح الحبيب "بصنعة" لطيفة هكذا أي مثل صنعتي و فعل مثل فعلي فقولته "بصنعة" متعلق بـ"ينزل" و إضافة "حرير" إلى المعنى من إضافة المشبه به إلى المشبه أي المعنى الصافي الرقيق الشبيه بالحرير و "الهبون" من أسماء العنكبوت و خيطها هو الذي تسديه بين الشجر لتصيد به الباعوض و نحوه فإذا تشبثت به أكلته. و "السندس" نوع من ثياب الحرير كالديباج و نحوه و "عبقري" قال الأزهري في تصريحه "ترجم العرب أنه بلد الجن فينسبون إليه كل شيء عجيب هـ". و في التنزيل ﴿و

عبقري حسان⁹⁰. و في الحديث في عمر رضي الله عنه "ما رأيت عبقريا مثله" و في القاموس "عبقر موضع كثير الجن و بلدة ثيابها في غاية الحسن ه". و "صنعاء" مدينة و هي قاعدة اليمن و كان بها ملوك التبابعة و قد بسطنا الكلام عليها في شرح المقامات و معنى كلام الناظم أن البرد الذي تتسجه في محاسنه | دونه في الجودة سندس عبقرى و ما يحوكونه أهل صنعاء من البرود لأنهم مشهورون بذلك حتى قالوا أن "أهل اليمن ما بين دابغ جلد و سائس فرد و ناسج برد". و "البرد" نوع من الثياب و "الغوغا" الأوباش من الناس و "بمعزل" أي منفرد و قوله "في محاسن" متعلق بقوله "نغزل". و "الحصن" معروف و "المحاسن" في الخلق و الخلق. و "منعة" أي نجاة للطريد في الدنيا و الآخرة و في كلام الناظم الجنس التام و اللاحق.

قال الناظم رحمه الله:

صَاحِبَ الْحَوْضِ أَحْمَدَ سُلْطَانَ كُلِّ سُلْطَانٍ * الْأَبْطَحِي حَبَّةَ مَنْ

ضَاقَ عَلَيْهِ سَبْلُهُ

أَيَّ وَقْتٍ نَسُوْقُ هَجَايِنَ كَالنَّعَامِ عَيْطَانَ * وَسَطْرُ رَكْبٍ طَلُوْعُ

النَّجْمِ يَزِيْمُ طَبْلُهُ

⁹⁰س.76.1/55.

تقدم الكلام على الحوض و أحمد هو اسمه | في السماء و لم
يتسم به أحد قبله و أول من تسمى به بعده والد الخليل الذي
اخترع علم العروض و قوله "سلطان كل سلطان" أي أنه |
سلطان سلاطين الدنيا و الآخرة. قال البوصيري:

و انسب إلى ذاته ما شئت من شرف

و لقد سمى نفسه | بالسلطان في حديث " بلغوني حاجة
الضعيف" إلى أن قال "فإن من بلغ السلطان" الحديث. أنظر
الخفاجي على "الشفاء". و "الابطحي" نسبة للأبطح و هو ما بين
أخشبي مكة و "السبل" الطرق و "الهجين" من الإبل الأبيض و
البيضاء و من العرب من أمه أمة و قد قال علقمة بن علفة
المري لعبد الملك بن مروان لما خطبه على ابنته لابنه مسلمة و
هو ابن أمة "جنبني هجان ولدك". و "العيطان" بالعين المهملة
طويلة العنق و المراد بـ"النجم" هو الذي يكون طلوعه دليلا على
قرب الفجر ككوكب الزهرة في بعض الفصول فأل فيه للعهد و
معنى "يزيم" يتكلم إنذارا بالارتحال و تشبيه "الهاجين" بالنعام إنما
هو في العدو و في كلامه الجنس الناقص و الاستعارة.

قال الناظم رحمه الله:

اَيَقُظُّ مَنْ سِنَّةَ الْبُطَالَةِ جَفْنُ اللَّهْوِ * مَا يَعْدَمُ فَضْلٌ مَنْ بَقَالَه

رَأْسَ الْمَالِ

وَ اتْرُكْ فَلْكَ الْمَخَاطِرَةَ فِي بَحْرِ الرَّهْوِ * تَأْمَنُ عَزَقَكَ إِذَا ارْتَجَحَ

الْبَحْرُ وَ صَالَ

لَا يَجْنَحُ بِكَ لِلْمَهَالِكِ رِيحُ السَّهْوِ * وَ اخْذَرْ مَنْ شَيْطَانَ الْأَنْسِ

يَا صَاخَ عَمَّالٍ

دَافِعَ مَنْ لَا يُسَاعِدُكَ بَوْفًا وَ كَمَّالٍ

"يقظ" من يقظة بفتحات ضد النوم و تسكين قافها خطأ إلا في
ضرورة الشعر. قال التهامي:

العيش نوم و المنية يقظة * و المرء بينهما خيال سار

و "السنة" مقدم النوم و تقال للذهول أيضا و "البطالة" هي
الاشتغال بالباطل و قوله "جفن اللهو" أي الجفن المشتغل باللهو
و "المخاطرة" الغرر و الهلاك و فلکها هو الذي يغلب على راكمه
العطب كالمركب النخر و نحوه. و "الرهو" السكون و ارتجاج
البحر هيجانه و كثرة مائه و قوله "لا يجنح" أي كن متحرزا من
أن يجنح أي يميل بك ريح السهو للمهالك أي إذا تركت الفلك
الضعيفة و ركبت في الصحيحة فاحذر من جنوح الريح بك
للمهالك بسبب سهوك و أمنك فلا يؤمن مكر الله إلا القوم
الخاسرون. و فيه حظ و حث عن الغفلة عن الآخرة من ترك
العمل لها و قوله "دافع الخ" أي أن الذي لا يساعدك على ما
يدل على طريق الرشاد و الوفاء و الكمال بأن يدلك على الغي و

الغدر و الخيانة فادفعه عنك و لا تصحبه فإن صحبته مفسدة لك و المرء على دين خليله. و قد قالوا "لا تصحب من لا ينهضك حاله و لا يدلك على الله مقاله". و باء بالوفا بمعنى على و أراد ب"الكمال" الخصال الممدوحة ثم ذكر أخبار الهجرة بقوله أي الناظم رحمه الله:

هَآكْ بَعْضُ أَخْبَارِ الْهَجْرَةِ بَلْفُظْ مَلْحُونُ * مَا تَخَافُ مِنَ اللُّومِ إِذَا

بُعِيتَ تَرْوِيَهُ

قَوْلُ بَادِي بُلُغَةَ عَرَبِ الْحَجَازِ مَشْحُونُ * لَوْ جَدَدَ فَضْلُهُ مَنْ

يَسْمَعُ عَنَادَ يَكْوِيَهُ

يَزْدِرِيهِ الْعِمْرُ وَ قَلْبُهُ عَلَيْهِ مَطْحُونُ * حَدَّ مَا يَعْرِفُ لَهُ مَسَلِّكَ

مُنِينِ يَأْوِيَهُ

"هاك" بمعنى خذ و "الهجرة" بضم الهاء و كسرهما و هي لغة الخروج من أرض إلى أرض و المراد بها هنا هجرته | و أصحابه رضي الله عنهم من مكة إلى المدينة و هي الهجرة الثانية الكبرى و الأولى هجرة بعض أصحابه لأرض الحبشة و هي الصغرى. و من هجر لهما معا يقال له ذو الهجرتين. و "الملحون" غير المعرب كما مر و يصح أن يريد به أيضا ذي الألقان المطرية و "البادي" الظاهر و "عرب الحجاز" الذين نزل القرآن على لغتهم و مقابل الحجازيون التميميون. و الازدراء

الاحتقار و "الغمر" بكسر الغين المعجمة الحسود الحقود و قوله
"حد" أي أحد و معنى "منين ياويه" أي يفهمه لتعقيده في عدة
مواضع و المراد بقوله ترويه للغير أو عن الغير فلا لوم عليك
لصحة معناه و استقامة مبناه.

ثم قال رحمه الله:

فِي ابْيَاتِي لِأَهْلِ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ تَبْيَانٌ * مَا يُرْوَلُ يَلْبِغُ قَلْبُ
الْحُسُودِ صَلَّهُ

جُلَّ نَاسِ الْوَقْتِ فِي بَيْتِ الضَّلَالِ عَمِيَانٌ * وَ الَّذِي كَحَلِّ بَدْوَايَ
الشَّفَا حَصَلَ لَهُ

البيان إيضاح المعنى و "التبيان" التفهم و قيل "البيان منك لغيرك
و التبيان منك لنفسك". نقول بيّنت الشيء لغيري بيانا و بينته أنا
تبياننا و الأقرب أنهما بمعنى واحد. قال تعالى ﴿و نزلنا عليك
الكتاب تبياننا لكل شيء﴾⁹¹. و ليس في أبنية المصادر تفعال
بكسر التاء إلا التبيان و التلقاء و التتصال من المناضلة. و
"أهل الوجه الجميل" العلماء الذين يحملون اللفظ على ما يصلح
من الوجوه المحتملة له بحيث لا يعيرون قائله و لا يسرعون إلى
ذمه لقوة إطلاعهم و إصابة قصدهم و لذا قال بعض العلماء
"منذ تمهّرت في النحو ما لحنت أحدا". و معنى "يلبغ" يلسع و

⁹¹س.21/107.

"الصل" نوع من الحيات كما مر. و قوله "جل الخ" أي أن غالب أهل عصره قد غلب عليهم الجهل فهاموا في الضلال الشبيه بالبيت المظلم لا يبصرون لعمى بصائرهم هدى. و الذي اكتحل منهم بدوائي الذي ركبته حصل له الشفاء من عماه و قد جرت عادة المعاصر بالإعراض عن تأليف معاصره كما وقع لابن الجوزي و غيره و لله ذر من قال:

ما شأنها شيء سوى أنها * من أهل عصرنا يا ليتها لم تكن
كما أنهم جبلوا على الحسد و كان ابن أبي داوود من الفصحاء
فكان يقول "إني أمتنع من الكلام عند الخلفاء بحضرة ابن الزيات
كراهة أن يتعلم الكلام فيصير فصيحاً". و قد قال العلامة ابن
الجوزي:

عذيري من عصبه بالعراق * قلوبهم بالجفاء قلب
يرون العجيب كلام الغريب * و قول القريب فلا يعجب
ميازيبهم إن تندت بخير * إلى غير حيرانهم تقلب

قال الناظم:

ذَلَّ اللهُ مَنْ عَصَى نَبِيَّ الرَّحْمَةِ وَ اسْتَدَّ * حَبْلُهُ حَتَّى انْقَطَعَ
بِحَالِ حَبَالِ الْعَيْرِ
فِي ذِي وَ الدَّائِمَةِ عَلَيْهِ الْبَابِ اسْتَدَّ * مَنْ لَا يَلْأَزِمُ حَمَاهُ مَا
يَرْجَى لَهُ خَيْرٌ

بَشَّرَ عَمْرُ السُّفِيَّةَ وَ الْحَزْبُ الْمُزْتَدُ * بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْعَذَابِ تَرْجَاهُمْ

وَ الضَّيْرُ

يَنْزِلُ رُكْبُ الْمُنَاقِشَةِ وَ لَوْ طَالَ السَّيْرُ

أي أن الله يذل من عصى نبيه محمد | و اشتد أمره في
المخالفة بالحرب و صد الناس عن سبيل الله و نحو ذلك كما
فعل كعب بن الأشرف و كعب ابن أسد و حي بن أخطب من
اليهود و كفار قريش من العرب مثل أبي جهل و الوليد بن
المغيرة و العاصي بن وائل السهمي و غيرهم. و سعوا في الفساد
السعي الشديد حتى قطع الله حبالهم أي أهلكتهم كما قطع حبال
غيرهم من الأمم الذين عصوا رسلهم مثل عاد و ثمود و نمrod و
فرعون و غيرهم مما لا يحصى و المراد بقوله "في ذي الدنيا و
الدايمة" الآخرة و المراد بالباب الذي استند عليه في الدارين هو
باب الرحمة. قال الله تعالى ﴿خسر الدنيا و الآخرة ذلك هو
الخسران المبين﴾⁹². و الضمير في "حماه" للنبي | أي أن من لم
يلتزم حدود الله و رسوله فهو شقي لا يرجى له خير أبداً و قوله
"بشّر عمر الخ" هو اسم أبي جهل و اسم أبيه هشام و هو و
الوليد بن المغيرة رؤساء بني مخزوم و "السفيه" هو الخسيس
الرديء و "بشارة" على طريق التهكم كقوله تعالى ﴿فبشرهم بعذاب

⁹²س.11.1/22.

أليم ﴿٩٣﴾ و "الحزب" الجماعة الذين على رأي و أراد بـ"المرتد" هنا الكافر لأنه لم يتقدم أسلام منهم و "الضير" الضر في القبر و البرزخ و المحشر و بعد ذلك و الضير من معنى العذاب و فاعل "ينزل" يعود على الحزب و "المناقشة" الاستقصاء في الحساب و فيه دليل على أن الكفار يحاسبون قال الله ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون﴾^{٩٤} و قيل لا يحاسبون لقوله تعالى ﴿إنهم كانوا لا يرجون حساباً﴾^{٩٥} و قوله ﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾^{٩٦}. و لما ذكر البرماوي على "صحيح البخاري" هذه المعارضة أجاب عنها في آخر سفر منه بأن أرض الحساب مواطن موطن يحاسب فيه الكفار و موطن لا يحاسبون فيه. و يحتمل أن المراد براكب المناقشة تحزب قريش على رسول الله | و حربهم إياه فإنه طال مدة ثمان سنين بمراعاة صلح الحديبية ثم نزل ركبهم بمعنى خضعوا و ذلوا له | يوم الفتح حتى أنه جمعهم بين يديه و قال "يا معشر قريش ما تكتمون إني فاعل بكم؟" فقالوا "ابن أخ كريم" فقال "أذهبوا أنتم الطلقاء". فشكروا فعله و الطليق عند العرب هو الذي أسر ثم منّ عليه و

^{٩٣}س.٨٤/٢٤.

^{٩٤}س.٩٢-٩٣/١٥.

^{٩٥}س.٧٨/٢٧.

^{٩٦}س.٢٨/٧٨.

إنما عبر الناظم بـ"ينزل" بصيغة المضارع للوزن و إلا فهو نزل
بالفعل.

قال الناظم:

سَأَلَ عَنْهُمْ دَارَ النَّدْوَةِ مَنْبِينَ مَكْرُومًا * حِينَ خَلَّى الطَّاهِرَ بَعْلُ
الْبُتُولِ نَائِمًا
بَاتَ كُلُّ مُضَلَّلٍ غَاوِيٍّ يُجُولُ فَكْرَهُ * وَ بَاتَ رُوحَ الْقُدُوسِ بُشَانًا
الرُّسُولِ قَائِمًا
يَمَكْرُوا بِمَظْفَرٍ يَحْيِي النَّفُوسَ ذَكَرَهُ * وَ لَا وَعَظَهُمْ تَرَابٌ مَدْرِيٍّ
عَلَى الْعَمَائِمِ

"دار الندوة" أصلها لقصي بن كلاب و كانت بإزاء المسجد الحرام
و كانت قريش لا تبرم أمر إلا فيها و قد أدخلها المعتضد
العباسي في المسجد في أواخر القرن الثالث. و المعنى السؤال
عنهم أي في أمر اجتماعهم و مكرمهم و خيبة سعيهم و قوله
"منين" أي حين و "المكر" الفتك بحيلة و المراد بـ"البتول" هي
سيدة النساء فاطمة رضي الله عنها سميت بتولا لانقطاعها عن
الرجال لقوة عفتها. و "المضلل" و "الغاوي" بمعناه و "يجول" أي
يتردد فكره و "روح القدس" هو سيدنا جبريل و "المظفر" هو الذي
يظفر بمن يضاويه و يعارضه و يحاربه و المراد بـ"الشان" خبر
جبريل للنبي | بمكرهم و كيف يخلص من شرهم بإذن الله تعالى

و أمره بترك علي نائما في موضعه ففعل و خرج من الدار و هم واقفون على بابها في عدة أبطال كل بطل من قبيلة من قبائلهم فوضع التراب على عمائمهم كلهم و ذهب و هم لا يشعرون و الحال أنهم لم يرتدعوا بذلك و لا انقضوا عن الكفر. ثم لما طال وقوفهم قربوا من النائم فكلما أراد بعضهم ضربه قال له الآخرون "هو علي بن أبي طالب" رضي الله عنه فكيف حتى تحققوا بخروج النبي | و وجد كل واحد التراب على رأسه فسقط في أيديهم و رجعوا إلى قومهم في حزن عظيم.

قال الناظم رحمه الله:

ءَاشٌ يَرْدَعُ كُفَّارَ قُرَيْشٍ قَوْمَ بُهْتَانَ * بِالْحَسَدِ وَ الْبُغْضِ وَ قَطَعُ

الدَّمَا اخْتَفَلُوا

يَهْجُرُوا مُحَمَّدًا حَاشَا يُكُونُ فَتَانًا * كَيْفَ قَالُوا فِيهِ النُّقَاصَ كَيْفَ

جَعَلُوا

و معنى "ءاش يردع" أي شيء يزجر كفار قريش "قوم بهتان" أي الكذب و باء "بالحسد" متعلقة بـ"اختفلوا" و معناه قاموا بأمر تلك الأشياء و "الفتان" هو الذي يثور الفتنة بين الناس و معنى "حفلوا" اجتمعوا و قوله "حاشا الخ" أي أنزه رسول الله | أن يكون فتانا كما قالوا فيه "النقاص" لعنهم الله. "كيف" أي حين حفلوا أي اجتمعوا في دار الندوة للمشاورة في أمره | من أن بعضهم قال

نقول ساحر و بعضهم قال نقول شاعر إلى غير ذلك مما يأتي
فقطعوا بتعصّبهم عليه الأرحام. قال زهير:
خذوا حظّكم يا آل عكرمة و اذكروا * أواصرنا و الرحم بالغيب
تذكر

قال القسطلاني⁹⁷ في قوله تعلق ﴿ يَدْرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾⁹⁸
"هذا وصفه | في التوراة". فيندرج تحت الدفع بالحسن من الكلام
و الوصل في مقابلة قطع الأرحام و غيرهما من أخلاق الكرام و
تغيير منكرات أفعال اللئام.

قال الناظم رحمه الله و رضي عنه:
دَارَ النَّدْوَةِ دَعَاتُ الْأَعْيَانِ مَنِ الْجَيْشِ * حِينَ قَالُوا صَبًا وَ ضَلَّ
ابْنَ الْخَطَّابِ
شِي مَنْهُمْ قَالَ تَتَّبِئُوهُ وَ يَهْنَا الْعَيْشُ * هَذَا شَاعِرٌ مَنِ الْعَرَبِ
هَاجَسَ خَطَّابِ
وَ الْبُعْضُ يَقُولُ خَرَجُوهُ تَرِيحَ قُرَيْشٍ * سَحَرَهُ يَعْمِي الْعُيُونُ وَ
أَسَانَهُ عَطَّابِ
مَنْ غَيْرِ الْقَتْلِ عُمُرُهُ مَا رَضَاهُ خَطَّابِ

⁹⁷ و هو شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني (851-923) صاحب " المواهب اللدنية
بالمناجحة المحمدية".
⁹⁸ س. 28. 54. 1.

الندوة مجلس يجتمع فيه القوم للمشاورة و فصل الأمور المهمة و
لذا سميت دار قصي دار الندوة لاجتماع قريش فيها لفصل
الأمور و قوله "دعات" مجاز مرسل و إنما الداعي أهلها
القائمون بأمر قريش و المراد ب"الاعيان من الجيش" الرؤساء منه
كالوليد ابن المغيرة و أبي جهل و أخيه الحارث من بني مخزوم
و العاصي بن وائل و ابن حذافة من بني سهم و أمية و أخيه
أبي بن خلف من بني جمح و سهيل بن عمر من بني عامر و
أبي سفيان بن حرب و الحكم بن العاصي من بني أمية و شيبه
من بني عبد الدار و غير ذلك. و معنى "صبا" أي خرج من
دين إلى دين و سبب اجتماعهم هذا أنهم سمعوا بأن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه أسلم و كان من أعيانهم و من أولي
القوة و البأس فهاهم أمره و أيقنوا أن جانب المسلمين قوي
فتشاوروا حينئذ في أمر النبي | في الدار المذكور و هو المراد
بقوله "شي الخ". فقال بعضهم "ننبتّوه" أي نحبسّه يهنا لنا العيش
و يطيب لأنه شاعر من العرب "هاجس" أي يفتن القلوب و
أصل الهاجس لغة ما يهجس بالبال و "الخطاب" من الخطابة
البلغ فيها أي أنه يميل القلوب بحسن كلامه و جودة سبكه و
قال البعض نخرجوه من أرضنا تريح قبائل قريش منه لأنه له
سحر يعمي العيون عما تريده إلى ما يريد و "لسانه عطاء" أي

جَرَّاحٌ لِلْقُلُوبِ وَ أَمَّا عَمْرُو وَ هُوَ أَبُو جَهْلٍ فَلَمْ يَرْضَى مِنْ
خَطَابِهِمْ وَ رَأَيْهِمْ إِلَّا قَتَلَهُ | وَ لَمَّا تَفَرَّقُوا عَلَى قَتْلِهِ نَزَلَ عَلَيْهِ مِنْ
رَبِّ الْعِزَّةِ ﴿وَ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ
يُخْرِجُوكَ﴾⁹⁹.

ثم قال:

رَأَيْهِمْ يَتَرَدَّدُ وَ الشَّيْخُ دَقَّ فَأَلْبَابُ * قَالَ حَلُّوا هَذَا مِنْكُمْ بَعِيرٌ

رَيْبَةٌ

حَيْثُ مَنْ نَجِدُ مَنِينٌ سَمِعْتُ جَمْعَ الْأَحْبَابِ * لَا غِنَا نَنْفَعَكُمْ

بِوَسَائِلِي الْغَرِيبَةِ

بِأَشْ حَكَمْتُ مِنْكُمْ فِي ذَا الرَّجُولِ الْأَلْبَابِ * حَدَّثُونِي بِالْفَتَاةِ

النَّافِعَةِ الْفَرِيبَةِ

"الشيخ" من بلغ ستين سنة ففوق و أراد بـ"الباب" باب دار الندوة
و "الريبة" التهمة و قوله "لا غنا" أراد بها معنى عسى و
"الوسيلة" ما يتوصل به إلى المقصود و "الغريبة" القليلة المثل و
هذا الشيخ هو إبليس لعنه الله و إنما انتسب لنجد دون تهامة
التي هي أرض قريش لأنهم قالوا لما دخلوا دار الندوة لبعضهم
بعضاً لا تحضروا معنا أحداً من تهامة لأن رأيهم مع محمد. و

⁹⁹س.8/30.

قوله "باش" أي بأي شيء حكمت منكم "الالباب" أي العقول في هذا الرجل يعني به رسول الله | . "حدثوني" أي أخبروني "بالفتكة النافعة" لكم فيه "القريبة" أي التي لا تعب لكم فيها و الفتك هو أن تؤمن الرجل ثم تقتله أو هو ارتكاب الأمور الصعاب و هذا منه حرص على نكال النبي | لما يعلم أنه نبي حق و لا يستقيم له معه حال. قال تعالى ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾¹⁰⁰. و لذا لما خاب سعيه في هذه القضية أتى قريش ببدر على صفة سارقة المدلجي ليعينهم فخاب سعيه أيضا.
قال الناظم:

عَظَّمَتْ قَدْرَهُ وَسَطَّ الْجَمْعُ ذُوكُ الْأَخْوَانِ * وَ اشْتَغَلَ بِخَدَائِعِ شَتَى
بُرَيْشٍ نَبْلُهُ
طَلَعُوهُ عَلَى الْأَقْوَالِ الثَّلَاثِ عَوَّانٍ * رَدُّ مِنْهَا قَوْلَيْنِ وَ قَوْلِ عَمْرٍ
قَبْلُهُ

يعني أنهم أجلسوه وسط جمعهم و في صدر مجلسهم تعظيما له و "ذوك" معنى أولئك و "شتى" كثيرة متفرقة و راش نبله هو أن يجعل له ريشة طائر في رأسه لأجل الإسراع و أراد بذلك هنا قوة مكره و كيده و المراد بـ"الاقوال الثلاث" هو ما مر بارتضاء بعضهم الحبس و البعض الآخر إخراجهم من أرضهم و ارتضاء

¹⁰⁰س.6/35.

أبي جهل القتل. و قوله "عوّان" فعّال أي كثير الإعانة لهم و النصح و لما تأمل لعنه الله ذلك ردّ من ذلك قولين يعني قول من اختار الحبس و حجته أنه لا يمسه حبس و لا قيد لعلمه لعنه الله معجزات الأنبياء عليهم الصلاة و السلام و كرامتهم على الله. و ردّ أيضا قول من اختار الإخراج و حجته في رده أنه قال لهم يذهب إلى غيركم و يقاتلكم بهم و قد وقع ذلك بعد. فإنه | خرج إلى الأنصار و قاتل قريش بهم حتى أظهره الله عليهم. و ما اختار من تلك الأقوال إلا قول عمرو و هو أبو جهل لعنه الله بالقتل ضانا أن رسول الله | غير معصوم منه لما علم من قتل بني إسرائيل لأنبيائهم كما أخبر به القرآن. و لو علم بعصمة نبينا | ما وافقهم على ذلك لأنه في غاية الحزم و الرأي لحزبه. قال تعالى ﴿أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾¹⁰¹. و الشيطان هو إبليس كما في الخفاجي على "الشفاء" فإن قيل كيف اختار لعنه الله أن يتمثل في صورة شيخ و لم يتمثل في صورة شاب فالجواب أن الشيخ يقبل الناس مشورته لكونه جرب الأمور و عرف مداخلها و مخارجها بخلاف الشاب فهذه نكتة تمثله لعنه الله بصورة شيخ. و أعلم أنه لما اختار قول أبي جهل وافق كل الجمع عليه و عينت كل قبيلة

¹⁰¹س.58/أ.19.

رجلا منها لقتله | قائلين أن دمه يفترق في القبائل فلا تقدر بنو هاشم على قتال الجميع. هذا رأيهم و لم أقف على كونه بإشارة النجدي أم من عندهم فقط. فبعثوا له | عشرة من الرجال على عدد قبائلهم كل رجل من قبيلة و أمرهم أن يضربوه ضربة واحدة. فخبب الله سعيهم و الله غالب على أمره. و هذا هو معنى ما مر في قوله "سال عنهم دار الندوة منين مكروا الخ". فهو مرتب على ما هنا و لو أخره الناظم إلى هنا لكان أحسن.

كُفَّارٌ قُرَيْشٌ حَكَمُوا النَّجْدِيَّ وَ رَضَاوَا * وَ رَضَى النَّجْدِيُّ بَعْمَرَ
فِي شَأْنِ الْمَبْرُورِ

لَيْتَ أَهْلَ الْكُفْرِ فِيهِ عَرَفُوا مَنْ قَضَاوَا * يَوْمَ أَنْ لَدَّ الْخُصَامَ وَ
انْضَامَ الْمَخْصُومِ

مَا زَالُوا بِالْحَسَامِ فِي حَزْبِهِ يَمْضَاوَا * لَوْ جَمَعُوا كَيْدَهُمْ عَلَى
الْعَزَى مَقْصُومِ

حَبَلًا بِرَمُوهَ فَالظَّلَامَ اصْبَحَ مَقْصُومِ

"النجدي" هو الشيطان لعنه الله كما مرّ. و قد حكّموه و رضوا بحكمه فرضي هو قول عمرو هو أبو جهل بقتله | و هو تهافت منهم لا يحصلون منه على طائل لأنه | عصمه الله تعالى من الناس فلا يقدر أحد على قتله. و قوله "ليت أهل الكفر فيه عرفوا من قضاوا" أي مثل ورقة بن نوفل ابن عم خديجة رضي الله

عنها لما وصفت له أمر الوحي فقال "هذا الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى". و قوله لما ذكرت له عن غلامها ميسرة ما رآه من النبي | في سفره من تظليل الغمامة له و ما قاله بحيرة الراهب في شأنه:

فيا ليتني إذا ما كان ذاكم * ولجت و كنت أولهم ولوجا
أي كنت أول قريش دخولا في الإسلام و يحتمل أن الناظم رحمه الله أراد يا ليت أهل الكفر عرفوا من "قضاوا" أي حكموا في شأن النبي | . اليوم الذي ألدّ فيه الخصام بمعنى اشتدّ و قوي و هو يوم بدر و ذلك لعدم إنصاف قريش و مكابرتهم الحق الواضح و "انضمام" المخصوم أي ذل و خزي و هم قريش. فقد قتل النبي | منهم سبعين و أسر سبعين مع أنهم في نحو الألف و النبي | في نحو الثلاثمائة و نيف. و أما حمل قول الناظم "عرفوا من قضاوا" على عتبة بن ربيعة فبعيد لأنه لم يأمرهم لما نزلوا بدرا بإتباع النبي | و إنما قال لهم يا معشر قريش نترك محمدا و سائر العرب حتى ننظر ما يفعلون معه إلى آخر القصة. أنظر سيرة ابن سيد الناس¹⁰². و "الحسام" السيف و أراد بـ"يمضاوا" قتلهم و سببهم و نحو ذلك من أنواع الهلاك و "كيدهم" مكرهم و

¹⁰² و هو فتح الدين ابن سيد الناس اليعمري الربيعي و له " عيون الأثر في فنون المغازي و الشمال و السير". توفي سنة 734هـ.

تخريبيهم و "العزى" بضم العين تأنيث الأعز سُمرة كانت لغطفان
يعبدونها فأما العزة بكسر العين هي الامتناع من القهر و الغلبة
و من الأرض المعزاز هي الصلبة. و "المقصوم" المكسور و
"المفصوم" المنحل. و المراد بالحبل المبروم في الظلام كيدهم
الذي دبّروه من التعيين من كل قبيلة فاتكا من فتّاكها و يذهبون
له | و يضربونه ضربة رجل واحد فأصبح ذلك الكيد مفصوما
خاسرا كما مر.

قال الناظم:

حِينَ شَافَ الصَّدِيقَ أَمَرَ الخُرُوجَ قَرَّبَ * اخْتَارَ صُحْبَةَ طَهَ عَن

كُلِّ مَا فِي مَلْكِهِ

حَطَّ وَ رَفَعَ وَ عَرَفَ حَالَ السَّفَرِ مَجْرَبَ * بَرِيحَ طَيِّبٍ جَرَى فِي

الصَّالِحَاتِ فَلُكَّهُ

بَيْنَمَا وَ الرُّوحَ بَعَيْنَ الوُجُودِ عَرَّبَ * مَا بَصَرَهُمْ حَارِسَ بَيْنَ

السِّيُوفِ سَلُّكُوا

"الصدّيق" هو أبو بكر رضي الله عنه و معنى "حط و رفع" أي

لم يعمل. قال وضّاح اليمن:

منا الأناة و بعض القوم يحسبها * فينا بطاء و في إبطاءنا سرع

و قوله "مجرب" أي حال الأسفار و خوض المهامه لأنه كان

تاجرا و قد جرى فلكه أي مركبه في بحر الصلاح و الريح طيبة

موافقة أي أنه طالما جال في الأسفار الشاقة و تخلص منها بحسن تدبيره كما يتخلص من يخوض البحر و يجري فيه فلكه بالريح الطيبة المنجية.
قال الناظم رحمه الله:

صَبَحَتْ قُرَيْشٌ فِي حِيرَةِ شَائِبَةٍ وَ شُبَّانٍ * وَ الْمَعْظَمُ ثُورُ
الْمَعْلُومِ ضَمُّ شَكْلِهِ
دَرَّتْ عَلَيْهِ شَوَائِلُ نَاعِمَةٍ بِالْأَلْبَانِ * مَنْ تَلِيدٌ عَتِيقُ اخْتِازِ
الشَّرَابِ وَ أَكْلِهِ

قد مر أنه | قام من وضعه الذي نام فيه و جعل عليا رضي الله عنه به و خرج و جعل التراب على رؤوس الواقفين على بابهِ المريدين قتله و ذهب من فوره ليلا و معه أبو بكر رضي الله عنه و دخلا في غار جبل ثور المشهور سمي بثور بن عبد مناف لنزوله فيه و ثور أيضا اسم جبل بالمدينة كما في القاموس و غيره و أهل المدينة يعرفونه و هو خلف بدر فلا عبرة بإنكار ابن عبد السلام له. و أراد بـ"الشكل" الجسد الشريف و "ضم" وارى و ستر. و "الشوايل" النوق التي كاد لبنها يجف أو جف كما مر. و معنى "درت" أي كثر لبنها ببركتها | . و "التليد" أصله التلاد بكسر التاء و هو المال القديم من ميراث و غيره.
قال الأفيشر الأسدي:

أفنى تلاميذ و ما جمعت من نشب * قرع القواقيز أفواه الأباريق
و الطريق ضده و "العتيق" هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه
لقب بذلك لجماله أو لعتقه من النار أي أنه | اختار أن يأكل و
يشرب من مال أبي بكر الصديق و قد قال | " لا يد علي
لأحد إلا لأبي بكر".

قال الناظم رحمه الله و رضي عنه:

خَرَجْتُ تَسْعَى كُبَارَ مَنْ مَكَّةَ وَ صَعَارَ * فِي طَلَبِ أَحْمَدَ وَ لَا

عَرَفَ لَهُ حَدَّ سَبِيلِ

صَمَّوْا وَ عَمَّأُوا وَ النَّبِيَّ فِي وَسْطِ الْغَارِ * ضَلَّتْ عَنْهُ الْعُقُولُ

خَالَطَهَا تَخْبِيلُ

مَا صَحَّكَتْ لِلْعَيْنِ بَيْنَ النَّاسِ اثْغَارَ * وَ اصْحَابُهُ كَاسِدَةٌ مُدَمَّرَهَا

تَتَّبِيلُ

مَفْسُودِينَ الْمَزَاجِ مَا فِي الْقَوْمِ نَبِيلُ

المراد بـ"العين" أبو جهل و "السبيل" الطريق و "الاثغار" الأسنان
و "التخبيل" الجنون و "التتبيل" مصدر تبله إذا ذهب بعقله. قال
كعب:

بانئت سعاد فقلبي اليوم متبول

و "المزاج" الطبائع المركبة في البدن و "النبييل" النجيب الحاذق و
مصدره نبلا بضم النون و "صموا" فلم يسمعوا كلامه | فلم

يبصروه و هو جالس في وسط الغار و يتكلم مع أبي بكر
الصديق رضي الله عنه.

قال الناظم:

طَلَّتْ عَلَى الْغَارِ الْكُفَّارَ وَ النَّبِيَّ فِيهِ * صَابَتْ عَلَى الْمُدْخَلِ بَيْتِ

الْهَبُونَ مَضْرُوبِ

رَايِدَةَ نُورِ اللَّهِ بِأَفْوَاهِ الْفَحْشِ تَطْفِيهِ * كُلُّ بَنِيَانٍ طَعَّ مِنْ غَيْرِ

سَاسِ مَخْرُوبِ

كَيْفَ يَخْشَى وَ رَبِّ الْكَائِنَاتِ يَكْفِيهِ * هَوْلٌ مِنْ كَادُوا لَيْلَةَ مَا

يَبَاتُ مَكْرُوبِ

و "الغار" هو غار جبل ثور و "الهبون" العنكبوت و ضمير
"رايدة" لقريش أي مريدة أن تطفئ نور الله بالأفواه الناطقة
بالفحش و الكذب و يأبى الله إلا أن يتم نوره و لو كره الكافرون.
و فحش كقبح و زنا و معنى و كل شيء جاوز الحد فهو فاحش
و لا يتم ما أرادوه لأنهم يبنون من غير أساس و كل بنيان بني
من غير أساس فهو "مخروب" أي منقوض ساقط و الأساس هو
طريق الحق التي ضلوا عنها و كيف يخشى | منهم و رب
الكائنات كافيها ما يخشاه من مكر الكافرين و كيد الكائدين و ما
بات في عمره ليلة أبدا "مكروبا" أي محزونا و قد قال لأبي بكر

في الغار "لا تحزن إن الله معنا" و قد قال تعالى ﴿أليس الله يكاف عباده﴾¹⁰³ ﴿و الله يعصمك من الناس﴾¹⁰⁴.

قال الناظم رحمه الله:

جَاشَ صَدْرُ الصَّدِيقِ بِمَا يَشَاهِدُ عَيَانَ * مَنْ زَحَامَ الطَّلَابِ عَلَى
عَاظُهُمْ يَطْلُؤُوا

ذَكَرَهُ الْمَاجِي لَأَ تَحْزَنَ مَعَاكَ دِيَانَ * كَيْفَ رَوْعُوكَ سُدَيْنَ ارْقَابَهُمْ
يَطْلُؤُوا

"الجاش" اضطراب القلب عند الفزع و المراد بـ"الصدر" القلب من إطلاق اسم المحل على الحال فهو مجاز مرسل و "الطلاب" القوم الذين خرجوا في طلبهما و "الديان" الله تعالى و معناه المجازي على الخير و الشر فمجازي سبحانه قريش يوم بدر و "السدين" بالنون الدم و "طله" هدره يقال فلان ظل دمه إذا لم يؤخذ بثأره. قال السموؤل:

و ما مات مَنَّا سَيِّدٌ فِي فَرَاشِهِ * و لا طَلَّ مَنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلٌ
و هو بصيغة المبني للمجهول و المراد ما هدر دمه أي أن الله يجازيهم بما أخرجوك و روعوك أن يهدر دماء رقابهم و قد وقع ببدر و قد قال سراقه بن مالك بن جعشم المدلجي لما رجع

¹⁰³س.39.آ/36.

¹⁰⁴س.67.آ/5.

رسول الله | و يأس من الظفر به و قد ساخت قوائم فرسه مرارا
مخاطبا لأبي جهل لعنه الله:

أبا حكم و الله لو كنت شاهدا * لأمر جوادي إذ تسوخ قوائمه
علمت و لم تشكك بأن محمدا * رسول ببرهان فمن ذا يقاومه
عليك بكف الناس عنه فإنني * أرى أمره يوما سنبدو معالمه
بأمر يودّ الناس فيه بجمعهم * فإن جميع الناس طرّا يسالمة
قال الناظم:

رَبَّعٌ بِالْحَيْلِ الْأَرْضُ بُوَ جَهْلُ الزَّنْدِيقِ * وَ أَحْمَدُ طَيُّ الْكُتَابِ
يَطْوِي الْأَرْضَ بَهْوُنْ
حَدَقُ فَحْصِ الْبُطَاحِ مَقْرَاضُهُ تَحْدِيقُ * مَنْ غَوْرٌ لُنَجْدٌ فَأَلْفِيَايِ
فَرَسٌ وَ جُونْ
ضَحَكَتْ بَابُ الْفَرْجِ لَطَةً وَ الصَّدِّيقُ * مَنْ رُوحَ الْفُؤَادِ مَا عَدَمْ
لَهُ قَطُّ الْعَوْنُ
خَرَجُوا بَحْرَ الْمُخَاطَرَةِ وَ غَرَقَ فَرَعُونَ

أي أن أبا جهل الزنديق المتوغل في الكفر ربح بخيله الأرض
بأن بعث لكل جهة جيشا في طلب رسول الله | و قوله "احمد
الخ" هو علم منقول من اسم التفضيل أي لأنه أكثر حمدا لله من
سائر الأنبياء عليهم الصلاة و السلام و قوله "يطوي الأرض
بهون" أي لأنه لم يكثرث بطلبهم إياه ثقة من ربه سبحانه و ما

يمشي إلا بالهون. قال تعالى ﴿و عباده الرحمان الذين يمشون على الأرض هونا﴾¹⁰⁵. و طي الأرض له من كراماته على ربه. ألا ترى إلى قضية الإسراء المشهورة إلا أن النقول التي رأيناها في شأن الهجرة أنه | وصل إلى المدينة بالسير المعتاد للناس في تلك المسافة لمضاعفة الأجر و إلا فإن الله قادر أن يبلغه في مدة أقل من مدة ليلة الإسراء. ألا ترى أن الله فرض عليه الجهاد و على أمته يقتلون و يقتلون إنما هو لمضاعفة الأجر و ليتخذ الله من هذه الأمة شهداء و إلا فهو قادر على استئصال الكفرة و قطع دابرهم بلا احتياج لقتال تأمل. و قوله "حدق" أي أحاط و "فحص" البطاح أي فضاؤه و هو معروف بمكة. و "المقراض" اسم المقص و يقال له الجلم أيضا و الجلمان. و أصل البطاح المسيل الواسع الذي فيه دقاق الرمل و ذلك التحديق كناية عن شدة تفتيشه عن رسول الله | و "الغور" اسم لكل ما انحدر سبيله مغربا من تهامة و النجد ما ارتفع عن تهامة و "الجون" الأدهم و أصله يقال للسحاب الأسود و الأبيض فهو من أسماء الأضداد كما في المطول¹⁰⁶ و الجونة بفتح الجيم خابية الخمر المطلية بالقار و يقال للشمس جونة أيضا لأنها إذا

¹⁰⁵س. 25/آ. 63.
¹⁰⁶أي الشرح المطول.

غربت تسود. و "الفيافي" القفار و قوله "ضحكت الخ" استعارة للفرج اسم الباب و أسند له الضحك مجاز عن سعة ذلك الفرج و أسند التأنيث للباب باعتبار أنه فرجة و لما لم يعدما عونا من روح القدس و هو جبريل عليه السلام خرجا بمعونته من بحر المخاطرة و الغدر و المراد به ما اتفق أمر قريش عليه ليلة إشارة الندوة من المكر به | و غرق فرعون هذه الأمة و هو أبو جهل لعنه الله أي هلك في غزوة بدر الكبرى و رمي في القليب و نصر الله نبيه | .

تتبيه: و أصل هذا اللقب للوليد بن مصعب صاحب موسى و والد الخضر أو ابنه فيما حكاه النقاش¹⁰⁷ و تاج القراء¹⁰⁸ في تفسيرهما و لقب لكل من ملك مصر و كل عاص متمرد أنظر "القاموس". "الصدِّيق" صيغة مبالغة من الصدق ضد الكذب. قال الراغب "الصدِّيق من كثر منه الصدق و قيل هو من صدق بالله في اعتقاده و حقق صدقه بالله و آياته و شرائعه".

قال الناظم رحمه الله:

¹⁰⁷ و هو أبو بكر محمد بن الحسن النقاش و له تفسير بعنوان "شفاء الصدور". توفى سنة 351هـ.

¹⁰⁸ هو محمود بن حمزة الكرمانى المتوفى سنة 505هـ. له "البرهان في توجيه متشابه القرآن".

ضَحَكَتْ ثَنَائَاتُ الْمَكِّيِّ مِنَ الثَّنَائِيَا * فِي دِيَارِ بَنَاتِ النَّجَارِ كَبَّ

صَوْبُهُ

صَمَّتُهُ دِيَارُ لُيُوثِ الْعَزِّ وَالْعَنَائِيَةِ * وَ انْتَحَى لِلْخُسْرَانِ ابْنَ

السُّلُولِ حَوْبُهُ

جَرَدَتْ لِلْمِيدَانِ مَرَاهِفُ الْمَنَائِيَةِ * اَعْيَانُ الْاِنْصَارِ وَ عَطَّاهَا

جَنَاحُ ثَوْبِهِ

"الثنايا" الأولى الأسنان في مقدم الفم ثنتان من فوق و ثنتان من أسفل و أما الرابعة كثمانية هي السن التي بين الثنية و الناب و "الثنايا" الأخرى جمع ثنية و هي الطريق في الجبل و "المكي" هو رسول الله | و ضحكت سروره و "بنات بني النجار" ما يعم نساءهم و أضاف الديار لهم دون الرجال على عادة العرب من أنهم ينسبون البيوت تارة للنساء على طريق التوسع و روي أنهم لقينه | بالدفوف و يقلن:

طلع البدر علينا * من ثنية الوداع

أيها المرسل فينا * جنئت بالأمر المطاع

أنظر "المواهب اللدنية" و الصحيح أن ذلك لما رجع من غزوة تبوك لأن ثنية الوداع في الطريق الذاهبة من المدينة للشام لا في الذاهبة منها لمكة أنظر كتابنا "الحاوي"¹⁰⁹. و معنى "كب"

¹⁰⁹ و هو "الكتاب الحاوي لنبذ من التوحيد و التصوف و الأولياء و الفتاوي".

انحدر و "الصوب" أصله مجيء السماء بالمطر استعارة للبركات
النازلة على الأنصار بمجيئه | و معنى "ضمته" آوته و "الليوث"
جمع ليث و هو الأسد و أهل العناية هم الذين لا تخفر لهم ذمة
و "انتحى" أي عدل للخسران في الدنيا و الآخرة عبد الله بن أبي
سلول رأس المنافقين فإنه أدركه الحسد و ذلك لأن أهل المدينة
عزموا على أن يتوجوه و يملكوه عليهم فبطل أمره بظهور رسول
الله | فامتلاً حسداً و حقداً إلى أن مات. و "الحوب" الإثم أي
عدل عن نصرة النبي | إلى الإثم و العدوان. و "الميدان" الحرب
و "المراهف" السيوف و "المنايا" الموت أي جردت أعيان
الأنصار سيوف الموت لحرب قريش و سائر من كفر بالله و قد
"غطاهم" جناح ثوبه | أي شملهم بره و عمهم خيره و أحاطت
بهم رعاية. قال حسّان رضي الله عنه:

و كفى بنا شرفاً على غيرنا * حب النبي محمد إيانا

قال الناظم رحمه الله:

مَنْ عَلَيْهِ فَرَعٌ مَنْ عَزَّهُ الْجَلِيلُ تَيْجَانُ * فِي مَوَاطِنَ مَشْهُورَةٍ

دَاسَهَا بِخَيْلِهِ

لَلْعَدَا كَرِيَةٍ وَ مَذَلَّةٍ وَ هَوْلٍ وَ شَجَانٍ * وَ الصَّدِيقِ عَلَيْهِ خَلَعٌ

سَابِغَاتُ نَيْلِهِ

"من" اسم موصول جواب عن سؤال كأنه قيل له من هذا الذي غطى الأنصار بثوبه فقال هو الذي أفرغ الجليل عليه تيجان العز و النصر في مواطن مشهورة كبدر و حنين فداسها أي مهدها و ذللها بخيله | و "الجليل" من أسمائه تعالى فهو كما في الخفاجي أبلغ من العظيم و الكبير لأنه كمال الذات و الصفات. و "العدا" جمع عدو أي أنه | كريب لعدوه و مكسبه الذل و جالب له الهول و مودع الأشجان في قلبه حتى يقول لا إله إلا الله و صديقه و هو المؤمن فإنه خلع عليه "سابغات" خيره جمع سابغة و أصلها الدرع الواسع و المراد هنا عطايها الكثيرة و بره العميم و كلام الناظم من معنى قول طرفة بن العبد¹¹⁰:

لك يد خيرها يرتجى * و أخرى لأعدائها غائضة

و قول الآخر:

حياة المظلوم هلاك لظالم * فيا لباس و الإحسان أشقى و أسعد

قال الناظم:

سَارَتْ بِالْمُصْطَفَى وَ الْأَنْصَارِ ذُرَى الْبَدَنِ * يَحْيِيوُا رُسُومَ مَنْ

ذِيَارِ الرُّشْدِ عَفَاتِ

حَدُّ بَحْدِ الْحَسَامِ وَ الْعَسَالِ اللَّدْنِ * قَوْمًا ضَلَّتْ وَ رَدُّهَا عَنْ رِيغًا

فَاتِ

¹¹⁰ و قد تنسب إلى الخليل بن أحمد.

وَ حَفَظَ لِلْجَارِ عَهْدًا وَ رَعَى حَقَّ الْخَدْنِ * مِنْ كُلِّ عَدُوِّ الْحَقُوقِ

الْأَنْصَارِ اسْتَوْفَاتِ

مَا قَطَّ خَلِيقَتَهُ لُغَيْرِ اللَّهِ جَفَاتِ

"الذرى" جمع ذروة معروفة و "البدن" جمع بدنة سميت بذلك لعظم بدنها و إسناد السير لذراها من باب المجاز المرسل و إنما سارت من نفسها و "الرسوم" جمع رسم ما كان لاصقا بالأرض من آثار الديار كالرماد كما مر. و "عفات" درست و ذهب آثارها و قوله "حد" من الحدود و هو أنه فعل بالمذنب ما يستحقه شرعا و قوله "بحد" أي بحد السيف و "الحسام" السيف القاطع أي أنه | أقام الحدود بقاطع السيوف. و "العسال" من العسلان و هو الاهتزاز الشديد. قال ساعدة بن جؤيئة الهذلي في رمحه:

لذَّ بهز الكف يعسل متنه * فيه كما عسل الطريق الثعلب

أو الذي يضطرب في العدو أو بتحريك الريح له. و كان باديس بن منصور الصنهاجي إذا هزَّ رمحا كسره. و "اللدن" اللين و "قوما" مفعول حدّ أي حدّ القوم الزائغة حتى ردها عن ضلالها الذي تقدم لها و "الزيغ" الميل عن الحق و "الخدن" الصديق و "الخليقة" الطبيعة و قد استوفت الأنصار به | جميع حقوق الله من كل عدو قتلا و سبيا و أخذ مال و قوله "ما قط الخ" أي ما

تراه | يجفوا أي يبغض أحدا لغير الله تعالى بل كان | يرضى الله
و يبغض الله تعالى كما قال الناظم رحمه الله تعالى و رضي عنه:

مَا جَفَاتْ خَلِيقَةً طَهَ فِي الْأَرْضِ مَسْلَمٌ * وَ لَا لِيَانَ لِكَافِرٍ طَبَعَهُ
الْكَرِيمِ كَلًّا

لَا حَ طَاعَ سَعْدُهُ وَ الْكُفْرَ لَيْلٍ مَظْلَمٌ * عَلَى الصَّفَا وَ الْمَرْوَةَ وَ
الْحَجَرَ وَ الْمَصْلَى

كَمْ رَمَاتُهُ بِالنَّقْصِ أَهْلَ الضَّلَالِ وَ حَلْمٌ * هَاشِمِي مَكِّي مَا تَجَهَّلُ
عِلَاةَ مَلَّةَ

"الخليقة" و الطبع بمعنى السجية و "ليان" بمعنى لان و كلاً
أصلها تستعمل للزجر و "لاح" بمعنى ظهر و "طالع سعده" أي
قمر يمنه و "الصفا و المروة" مؤنثين باعتبار البقعة و الربوة و
هما معروفتان يفعل بينهما السعي "الحجر" معروف أيضا و
المراد بـ"المصلى" مقام إبراهيم. قال تعالى ﴿وَ اتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ
إِبْرَاهِيمَ مِصْلَى﴾¹¹¹ و قوله "كم الخ" أي أنه | كثيرا ما رمته أهل
الضلال بالنقص كقولهم ساحر و كاهن و شاعر و لما ظفر بهم
و قدر عليهم أصفح عنهم و حلم و ذاك شأن الكرام. قال زهير:
إن ابن ورقاء لا تخشى بواده * لكن وقائع في الحرب تنتظر

¹¹¹س.2/125.

أشار إلى أنه حلیم لا يستفزه الغضب و في الحرب شجاع و قال
ابن زيدون:

و حلم و لا عجز و عز و لا كبر
و كان | إذا رمي بشيء قال " رحم الله موسى لقد أودى بأكثر
من هذا" فصبر و ليست ملة من أهل الملل تجهل علاه و مجده
و جوده و حسبه و سيرته الجميلة. قال الناظم رحم الله و رضي
عنه:

كَانَ مَنْ قَبْلَ الْأَتْمَشِي فِي الْأَرْضِ سُكَّانٌ * يَا عَجَبٌ مَنْ فَرَعٌ
سَبَقَ لِلْمَكَارِمِ أَصْلُهُ
لِلْحَبِيبِ أَحْمَدُ مَنْ مَوْلَاهُ عَزٌّ وَ مَكَانٌ * فِي أَوَّلِ السَّطْرِ مَبُوبٌ
لِللُّغُيُونِ فَصْلُهُ

"المكارم" جمع مكرمة فعل الكرم و "المكان" من المكانية بالهاء و
هي الرتبة الشامخة المنيعة و "أول السطر" مثل يضرب لمن قدم
على أبناء جنسه في أمر يقال فلان مكتوب في أول السطر أي
مقدم على غيره و جمع السطر أسطار و أسطورة و جمع الجمع
أساطير و "مبُوب" أي مترجم و "الفصل" لغة الحاجز بين
الشيئين و "الفرع" هو ما اندرج تحته مسائل. و المعنى أنه |
كان موجود قبل الكائنات كلها و قبل سكان الأرض بأسرها بل
قبل وجود الأرض بالكلية لأن أول ما خلق الله تعالى نوره فيا

عجبا من فرع سبق أصله للمكارم ككون الصلاة عليه | فرضها
الله على آدم في صداق حواء عليهما و عليه أفضل الصلاة و
السلام. و كون اسمه مكتوبا على باب الجنة إلى غير ذلك مما
لا يحصى و قوله "الحبيب" معناه أن له | من ربه تعالى عز
دائم و رتبة عالية لا يبلغها نبي مرسل و لا ملك مقرب فهو
إمامهم و سابقهم للمكارم و فصل ذكره أي ما يتعلق بشأنه و
حليته محبوب له في أول كل سطر من سطور المجد أي أن ذكره
قبل كل ذكر في المكارم و في الوجود و لذلك قال الناظم رحمه
الله:

قال الناظم:

بِالنُّورِ عَلَى الطَّرِيقِ السَّبْعَةِ مَرْقُومٌ * وَ عَلَى الْأَبْرَاجِ وَ الدَّرَارِي

زَيْنِ الزَّيْنِ

خَلَّصَ بِهِ الْكَرِيمَ ذَا النُّونِ الْمَلْفُومَ * مَنْ بَطَّنَ الْحُوتَ ضَمَّ شَكْلَهُ

بَعْدَ الْبَيْنِ

وَ افْدَى بِهِ الدَّبِيحَ مَنْ قَطَعَ الْحَلْفُومَ * بَعْدَ وَثَاقِهِ يَمُوتُ قَرَّتْ بِهِ

الْعَيْنِ

مَنْ فَضَّلَ الْمُصْطَفَى أَحْمَدَ ثَانِيِ الْاَثْنَيْنِ

"النور" من نار ينور إذا نفر و منه نوار الطيبة سمي بذلك
لإزالته الظلام فكأنه ينفر منه و "الطريق" السماوات و "الافلاك"

واحدھا فلك بالتحريك مدار النجوم و "الابراج" جمع برج و هو قسم من تجزئة الفلك على اثنا عشر جزء ستة منها شمالية أولها الحمل ثم الثور ثم الجوزاء ثم السرطان ثم الأسد ثم السنبله و ستة جنوبية أولها الميزان ثم العقرب ثم القوس ثم الجدي ثم الدلو ثم الحوت. و "الدراري" جمع دُرَى بضم الدال المهملة و كسرھا و فتحھا مع الهمزة و بدونھا بشد الياء من درا الكوكب إذا جرى أو دفع أو طلع بغتة و هم سبعة القمر و عطارد و الزهرة و الشمس و المريخ و المشتري و زحل هو أكبرهم في السماء السابعة و هذا من باب الترقى و المشاركة بالتدلي. و عليها قول الشاعر:

زحل اشترى مريخه من شمسه * فتزاهرت بعطارد أقمار

و عليها جرى صاحب القاموس بدليل قوله في باب الدال و "عطارد نجم من الخنس في السماء السادسة". و معنى "زين الزين" أي الذي ما زين كل الزين إلا زينه | . و "ذو النون" هو نبي الله يونس بن متى عليه السلام أرسله الله إلى أهل نينوى من أرض الموصل و قصته مبسوطه في كتب التفسير. و اللقم الابتلاع و النون اسم الحوت و "الشكل" الجسد و "ضمه" أي أوامه ربه بلطفه و أنبت عليه شجرة اليقطين. و "البين" البعد كني به ذهابه عن قومه مغاضبا لهم. و المراد بـ"الذبيح" إسماعيل عليه

السلام و قيل إسحاق و هو الأصح عند أهل الكتاب. و قوله "بعد وثاقه يموت الخ" بعد شدة الوثاق عليه للموت أي للذبح ففدي بذبح عظيم و نجا فقوّت أي سرّت به عين أبيه الخليل عليه السلام. فجعل الله من ذريته العرب و طراز عصابتهم خير الخلق نبينا | و إن كان الذبيح إسحاق فجعل الله من ذريته أنبياء بني إسرائيل و علمائهم و صلاحهم و ذلك كله من فضل المصطفى أي المختار | ثاني اثنين في غار جبل ثور المتقدم الذكر و هذا اقتباس و قد جعله الناظم صفة عامة و إن كان ذلك في الهجرة من مكة للمدينة لأن المقتبس يجوز له هذا و مثله. قال الناظم رحمه الله و رضي عنه:

طَابَتْ مَنَازِلُ طِيبَةٍ وَ انْبَعَثَ نَسِيمٌ صَبَاها * عَطَّرَ مُشَارِقُ

الأَرْضُ وَ عَطَّرَ الْمُعَارِبُ

صَبَحَتْ تَبَاهِي خَضْرَا بَارِزَةً زِيَاهَا * عَلَى الأَبْطَاحِ تَلَالِي تَحْسَبُهَا

مَضَارِبُ

بِالرُّسُولِ الْمُكِّيِّ سُبْحَانَ مَنْ حَبَاها * وَ حَاطَهَا بِجَبَلٍ عَالِي

عَوْتُ كُلِّ هَارِبٍ

"طابت" أي عطرت و "طيبة" المراد بها المدينة المنورة و "انبعث" أي هب و "النسيم" الريح اللينة و "الصبا" الريح الشرقية و "عطر" أي طيّب و "الربا" الكدى البارزة و "البطاح" ضدها جمع

بطحاء و هي ما ينبسط من الأرض و وسعه سيل المطر كما مر. و "تلالي" تضى و "المضارب" جمع مضربة و هي الوسادة الموشاة توضع تحت الرأس و المرفق و هي التي تسمى مخدة و تطلق الوسادة أيضا على ما يفرش و لا عبرة بتفسير الجوهري الوسادة بالمخدة فقط بدليل حديث عدي بن حاتم المشهور. و أما الضرب بفتح الصاد و سكون الراء فهو الإنسان الذي هو بين السمن و الهزال كما بين في حديث الإسراء. و معنى "حباها" خصها به دون غيرها و "حاطها" أي حرسها و حماها بهذا الرسول الكريم الذي هو غوث و ملجأ كل هارب في الدنيا و الآخرة.

قال الناظم رحمه الله و رضي عنه:

تَحْتِ ظِلِّ لُؤَاهِ الْمَعْقُودِ الْأَنْسِ وَ الْجَانِ * خَابَ مَنْ لَا يُوَصِّلُ
بَابِنِ الذَّبِيحِ حَبْنُهُ

فَوْزٌ مَنْ تَنْتَرُ عَيْنُهُ فِي هَوَاهِ مُرْجَانٍ * حِينَ يَرِشَقُ قَلْبُهُ قَوْسَ
الْهُوَى بِنَبْلِهِ

قوله "تحت الخ" مقتبس من حديث رواه صاحب "الشفاء"¹¹² و غيره أنه | قال " آدم فمن دونه تحت لوائي يوم القيامة". و لا شك أن مؤمن الجن داخل تحته قطعا لأنه مرسل إليهم إجماعا.

¹¹² القاضي عياض دفين مرآكش.

و قوله "خاب من لا يوصل الخ" أي خاب و خسر من لا يكون متعلقا منه | بسبب من إيمان و محبة و غير ذلك و في القسطلاني في كتاب الحج أن أمته | ربع أهل الجنة من الأمم و قوله "فوز الخ" أي يا فوز من كان مستغرقا في محبته | و أخذت بشرائش قلبه حتى أن عينه تنتثر أي يسقط منها دمع أحمر يشبه المرجان لانقضاء¹¹³ الدمع المعروف من كثرة البكاء و دوامه لأجل ما توقد في قلبه من الشوق في الوقت الذي تتحرك في قلبه محبته و يرشقه قوس الهوى بنبله الصائب فأثبت للهوى قوسا على طريق الاستعارة المكنية.

ثم قال الناظم رحمه الله و رضي عنه:

حِينَ زَشَقَ مُهْجَتِي الْحَبِيبُ بِنَبْلِ الْبَيْنِ * ضَحَكَتْ عَيْنُ الْغَرَامِ
مَنْ بَعْدَ دِيَارِهِ

خَلَّفَ قَلْبِي مَنْ الْهُوَى حَامِلٌ وَقَرِينٌ * فِي بَحْرٍ عَرِيضٍ صَعْبٍ
عَابِرَ تَيَّارِهِ

مَنْ زَيْنَ الزَّيْنِ كُلِّ مَا لُقِيَتْهُ هَيْنَ * فِي قَلْبِي بِالْحُسَيْنِ عَنَّا
أَطْيَارِهِ

إِذَا صَحَّ الْوُصَالُ مَا ضَرَّ غَيَّارَهُ

"المهجة" الدم الأسود المنعقد داخل القلب. قال الشاعر:

¹¹³ أو انقطاع.

يرمي ريب الزمان لها سهاما * تصيب بنصلها مهج القلوب
و "البين" الفراق يعني لما رمى الحبيب | قلبي بالنبل الذي هو
الفراق و رشقه به حتى بلغ للمهجة ضحكت في قلبي عين
"الغرام" بفتح الغين المعجمة العذاب الناشئ به من أجل بعد دياره
أي أنه استولى الغرام على قلبه و تمكن فيه و هذا كله عبارة عن
شدة شوقه الناشئ عن بعد ديار حبيبه | فملخص المعنى أنه لما
فارقه الحبيب تمكن في قلبه شوقه الناشئ من بعد دياره عنه. و
"الوقر" الحمل الثقيل و "عابر" من عبر النهر إذا خاضه و
اجتازه و "التيار" موج البحر العظيم. و كل ما لقيته بسبب هوى
الحبيب الذي هو زين الزين "هين" علي سهل لا يضرنى و قد
غنت أطيّار ذلك في قلبي بالنوع المسمى عند أهل القانون من
المغنيين بـ"الحسين" أي أطرينى كما يطرب الحسين سامعه. فإذا
"صح" و ثبت لي بعد الهجر و الصد الوصال أي الود فما يضر
غيره المراد به الأشياء الصعبة الذي لاقتة لأن الجنة حفت
بالمكاره.

قال الناظم رحمه الله و رضي عنه:

بِالرُّسُولِ الْمَكِّيِّ سَعَدَتْ دِيَارُ طَيْبَةٍ * كَيْفَ سَعَدَتْ بِالْبَيْتِ أُمَّ

الْقُرَى وَ نَعَمَتْ

صَمَّتْهُ وَ أَوَاتَهُ مَن بَعْدَ مَوْتِ شَيْبَةَ * نِعْمَ فَاضِلٌ خَيْرٌ دِيَارِ
الْكَرَامِ صَمَّتْ
خَزْرَجِي وَ أَوْسِي اِمْتَاَزُوا بِرُودِ هَيْبَةِ * مَن ثِيَابِ الْعَزْ عَلَى كُلِّ
حَدِّ عَظَمَتْ

"طيبة" المدينة المنورة و "أم القرى" مكة المشرفة و معنى " و
نعمت " أي رزقها الله النعم. قال تعالى ﴿أو لم نمكن لهم حرما
آمنا يجبي إليه ثمرات كل شيء﴾¹¹⁴. و قوله "خزرجي الخ"
هذان الحيان هما الأنصار أهل المدينة خزرج و أوس إخوان
أبناء حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر من بقايا أحد ملوك
الجاهلية المشهورين و أمهما اسمها قبيلة بنت الأرقم الغسانية. و
"شيبه" هو جده عبد المطلب.

قال الناظم:

عَزُّوهُ وَ نَصْرُوهُ اشْرَافَ قَوْمِ شُجْعَانَ * فِي رِضَا الْبَارِي الْمَالِ
مَعَ النَّفُوسِ بَدَّلُوا
تَضَرَّمَ النَّازُ الْحَمْرَا كَفَّ كُلَّ طَعَانٍ * مِنْهُمْ وَ لَا خَيْبَهَا خَاَزِجِي
بِعَدْلِهِ

¹¹⁴س.28/أ.57.

"عزروه" أي قووه و نصروه على من خالفه و جاهدوا بأموالهم و أنفسهم في سبيل الله. "تضرم" أي تقد كف كل واحد منهم النار "الحمرا" أي القوية اللهب و لم يطفها خارج عن الدين "بعذله" أي بلومه. قال تعالى ﴿و لا يخافون لومة لائم﴾¹¹⁵. و "الطعان" كثير الطعن و مضارعه يطعن من باب نصر و أما الطعن الذي بمعنى القدح فمضارعه يطعن من باب سأل خلاف ما في الفتح أنهما معا من باب سأل.

قال الناظم رحمه الله:

ضَرَمَتِ الْأَنْصَارُ نَارَهَا فِي كُلِّ بَخِيلٍ * بِمَحَبَّةٍ مِنْ صَلَحِ عَلِيٍّ

يُدُّهُ كُلُّ فُسَادٍ

عَنْهُ¹¹⁶ جَزُؤًا رِقَابٍ مِنْ خَيْبَرَ وَ نَخِيلٍ * وَ انْكَبَتَ لِلْجَحِيمِ مَنْ

الْأَتْرَافِ اجْسَادٍ

مَا قَبِلُوا مِنْ عَدُوِّ لِعِزِّ اللَّهِ دَخِيلٍ * صَدَقُوا وَ صَدَّقَ بِمَا وَعَدَ

مَنْ شَادَ وَ سَادَ

"ضرمت" أي شعلت و "البخيل" من بخل بمحبته | بأن لم يطعه و قوله "عنه الخ" أي عن محبته و نصرته. "جزت" الأنصار أي قطعت رقابا من أهل خيبر ككنانة بن أبي الحقيق زوج صفية أم

¹¹⁵س. 54. 1/5.

¹¹⁶أو أعني.

المؤمنين و غيره و نخيلا كما في غزوة بني النضير. قال تعالى ﴿ما قطعتم من لينة﴾¹¹⁷ الآية. و "الأتراف" هم المتكبرون المنهمكون في اللذات من رؤساء أهل الكفر. و ما قبلت الأنصار من عدو جاءها دخيلا إذا كان ذلك الدخيل أي الأمر الذي يدخله العدو عليهم نصيحة لهم في زعمه لغير الله أما إن كان في جانب الله فيقبلونه كما وقع مرارا لبعض الكفرة من سؤالهم التأمين على فتح حصن كما وقع في تستر و غيرها. و قوله "صدقوا الخ" أي أن الأنصار صدقوا في وعدهم لرسول الله | ليلة العقبة أن يمنعه بما يمنعون به أبناءهم إن جاءهم لديارهم و قد صدق | في وعده إياهم بالنصر و فتح مكة و أخذهم كنوز كسرى و قيصر بقوله "من شاد الخ" فاعل صدق أي صدق من شاد الله ذكره أي رفع مقامه و هو النبي | و ساد بني آدم الحديث "أنا سيد ولد آدم" و لا فخر بما وعد. و جاء ذلك كفلق الصبح.

غريبة: تذاكر الخليفة المأمون مع العلماء في عدد أهل بيعة العقبة و كثر تردهم في ذلك و اختلافهم فدخل أحمد بن أبي داوود فعدهم واحدا واحدا بأسمائهم و كناههم و أنسابهم فقال المأمون "إذا استجلس الناس فاضلا فليكن مثل أبي داوود" فقال

¹¹⁷س.59/أ.5.

"بل إذا جالس عالم خليفة فليكن مثل أمير المؤمنين". و لما لم
أجد هنا الشطر السابع زدته لقوله:

جَعَلُوا بِأَحْمَدَ مِنَ النَّعِيمِ غُطَاً وَ وَسَاداً

يعني أن الأتصار جعلوا بسبب إيتاعهم لأحمد | من نعيم الله
تعلّى الدنياوي و الأخرأوي غطاء و وسادا و غير ذلك و بين
"وساد" و ما قبله الجنس التام.

تنبيه: ما استلت السيوف إلا رجعت إلى خوف حتى أسلم
الأتصار و لهم أنفة و أبآية ضيم و عدم تحمل ذل. ألا ترى أن
تبع و هو العبد ذو الأمر المطاع هم بغزوهم فكتبوا إليه:

العبد تبع يريد غزوتنا * و كأنه بالموضع المتذلل

و ممن له أنفة و عدم تحمل ضيم أيوب بن مطروح الثائر في
المائة الخامسة و لما حصل في قبضة يوسف بن تاشفين أدخل
رأسه تحته و انتظروه بالكلام فوجدوه ميتا. قال الناظم رحمه الله:

مَنْ دَرَى لَأَشْ جَفَاتِ الْهَاشِمِيِّ الطَّوَايِفِ * حَزَبَتِ الْأَحْزَابُ وَ

سَدَّاتُ كُلِّ جِيهَةٍ

بَرَقَتْ وَ رَعَدَتْ وَ مَنْ رَوْعَ كُلِّ خَائِفٍ * وَ ضَمَّتِ الْمَسْتَضْعَفُ

سَادَاتُهَا الْوَجِيهَةَ

كُلُّ مَسْتَمِرٍّ رَكْبٌ رَأَيْتَهُ يُسَافِرُ * لِلْقِتَالِ تِرَاعِي الْأَخْلَافِ مَنْ

يُجِبُهَا

أشار بهذا إلى غزوة الخندق و مر معنى "من درى" و معنى "حزبت" اجتمعت على رأي واحد و هو حرب رسول الله | و لذا تسمى هذه الغزوة بالأحزاب أيضا جفاء منهم له و تحاملا مع أنه | حريص على صلاحهم و هدايتهم و المعنى أتمنى أن أدري لأي شيء جفت طوائف الأحزاب رسول الله | . و قوله "سّدات كل جبهة" أي ناحية حتى أحاطت أخبيتهم بالمدينة فكأنها سدي متصل و هذه الطوائف مثل قريش و كنانة و مرّة و غطفان و غيرهم و كذا اليهود مثل قريظة و غيرها. قال تعالى ﴿إِذَا جَاؤُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾¹¹⁸. فعبر عن نزولهم محققين بالمدينة بتسدية الحاكة و نحوها. و قوله "برقت" و "رعدت" أي هددت و أوعدت أن تخرب المدينة المنورة و قد أمّن | كل خائف منهم فمن كان قويا على القتال شجاعا و هو المراد بـ"المستمر" الشبيه بالنمر ركب رأيتَه على رمحه و خرج للمسابقة أي للقتال و من كان ضعيفا لا يقدر "ضمته" أي صانته السادات الوجيّهة أي الرؤساء بأن جعلته في حرز منيع و هو

¹¹⁸س.33/10.

إشارة إلى جمع الظعن و الضعفاء و نحوهم في دار سعد بن معاذ بأمر النبي | لمنعتها. قال الأفوه الأودي:

و إذا الأمور تشابهت و تعاضمت * فهناك تعرفون أين المفزع و "الاحلاف" هم أولئك الطوائف الذين تحالفوا على حرب رسول الله | فوقفوا على شفير الخندق ينتظرون من يجيئهم للقتال و لا سيما عمرو بن عبدود العامري القرشي فإنه لما لم يحضر ببدر امتلاً غيظاً و اقتحم الخندق و طلب البراز فبارزه علي رضي الله عنه فقتله ففرح المسلمون فرحاً شديداً و كبروا تكبيرة واحدة ثم أن الله تعالى أرسل عليهم ريح الصبا ليلا فهدمت فساطيطهم و كفأت قدورهم فذهبوا و ردوا بغيظهم لم ينالوا خيرا. و في الحديث " نصرت بالصبا و أهلكت عاد بالدبور".

ثم قال:

سَأَقَتْ لَطِيْبَةً مِّنْ قَوْمِ الْفُسَادِ طُغْيَانٌ * كَالْجِرَادِ الْمُنْتَزِلِ لِلنَّبَاتِ

حَمَلُهُ

وَلَّتْ الْكُفَّارَ بِرِيحِ الْعَذَابِ عَمِيَانٌ * وَ خَسِرَ لِعَبْدِ اللَّهِ رَأْسَ

النَّفَاقِ عَمَلُهُ

و المراد بـ"الطغيان" الطغاة و هم المتجاوزون الحد في الجور و الحمل من حمل الوادي إذا فاض فاضوا كالجراد النازل على النبات الذي عم كل موضع كحملة الوادي إذا فاض من المطر

و "ريح العذاب" هي ريح الصبا كما مر. فولوا خائبين و خسر لعبد الله بن أبيّ رأس المنافقين عمله الذي عمله في تحزيبهم و فسد ما أمله من غلبة الكفار فرد الله كيده و كيدهم و الحمد لله. قال الناظم رحمه الله و رضي عنه:

عَصَّتْ رُوسُ النَّفَاقِ فِي طَيْبَةِ بِالرَّيْقِ * لَمَّا شَافَتْ خِيَامَهَا
نَكَّسَهَا الرِّيحُ

بَعْدَ أَنْ وَفَدَتْ أَفْلَادَهَا مِنْ كُلِّ فَرِيقٍ * وَ عَمَرَ سُوقَ الرَّدَى
بِمَكْرٍ وَ كُفْرٍ صَرِيحٍ

لَلدِّينِ الْمُسْتَقِيمِ جَهَلُوا كُلَّ طَرِيقٍ * فِي رَعْمِ أَهْلِ النَّفَاقِ مَنْ
الْإِسْلَامَ تَرِيحُ

مَنْ سَجَنَ الْكُفْرَ كَيْفَ يَرْجَاوُ التَّسْرِيحُ

يقال غصّ فلان ريقه إذا اشتد كربه و لم يتخلص منه و "شافت" بمعنى رأت و "نكّسها" قلبها و هدمت و "الافلاذ" جمع فلذ بالكسر كبد البعير و بهاء القطعة من اللحم و الكبد و الذهب و الفضة و المراد هنا قطع الجيوش الملتئمة من النواحي و في حديث غزوة بدر " رمتكم مكة بأفلاذ كبتها " و الضمير لـ"اهل النفاق" أو الشرك و المراد بـ"الفريق" هنا القبائل أي من كل قبيلة و "سوق الردى" موضع الهلاك فجعل محل اجتماعهم على حرب رسول الله | سوق خسران و بوار و "الكفر الصريح" هو

الذي لا يقبل التأويل حتى أنهم جهلوا كل طريق توصلهم للدين
المستقيم فبقوا في سجن الكفر لا يرجون تسريحا. و لما ذهبوا
خائبين قال | " لن يغزونا قريش بعدها".
قال الناظم رحمه الله:

غَيْبَةُ الْمَخْزُومِي عَمَرُو الدَّمِيمِ خَابَتْ * لَيْلَةٌ اِنْ رَوَّحَ جَانِي
لِلْقَلْبِ مَخْزُومٌ
نَارُهُمْ مِثْلُ الْفُرْسِ مِنَ السَّعِيرِ خَابَتْ * وَ اصْبَحَ الْفَاعِلُ فِي
سَطْرِ النِّفَاقِ مَجْزُومٌ
يَمْكُرُوا بِمَنْظَرٍ بِهِ النَّفُوسُ طَابَتْ * فِي كِتَابِ خَيْلِهِ الْخَضْرَا
يَسِيرُ خَيْرُومٌ

"المخزومي عمرو" هو أبو جهل لعنه الله و "غيبته" هي سفرته
إلى بدر لحرب رسول الله | فخبب الله سفرته و راح "للقليب" و
هي لغة البئر التي لم تطوق و المراد البئر التي طرح فيها و
صارت رمسه و راح له ك"الجاني" الهارب من أمر الله و رسوله
و قوله "مخزوم" أي مجرور و أصل الخزامة ما يجعل في أنف
البعير ليقاد به. و قوله "تارهم" أي نار أبي جهل و رهطه و
المراد حربهم مثل نار "الفرس" نسبة لفراس بن جيومرت ابن
سام. من "السعير" و هو شدة اللهب "خابت" أي سكنت و طفت
كما وقع لنار الفرس ليلة ميلاده | و لم تسكن قبل ذلك بألف

عام. و المراد بـ"الفاعل" القوي في الكفر أصبح "مجزوما" أي مقطوعا و فيه تورية لطيفة. و "الكتائب" الجيوش و "الخضرا" هي التي يعلوها سواد الحديد و هي كتيبة الأنصار و "خيزوم" هي فرس جبريل عليه السلام.

تتبيه: ينسب السواد إلى الخضرة كما ينسب البياض إلى الصفرة.
مَا دَخَلَ حَرْبَ الْآبِدَالِئِلِ وَ بُرْهَانَ * خَلْفَ جَبْرِئِلِ يَحْتُ نَجَائِيهِ وَ
خَيْلُهُ

كَمْ ثَبَّتَ فِي مَوْقِفِ حَرْبِ تَكْلِ الْأَذْهَانِ * دُونَ وَصْفِهِ وَ سَحَبِ
فِيهِ الرُّسُولِ ذَيْلُهُ

أي أنه | ما دخل حربا من حروبه لهوى نفس بل لا يدخلها إلا بدلائل واضحة و براهين قاطعة من الله تعالى و لا يسير لها إلا و جبريل أمامه كما في غزوة بني قريظة و نحوها. و هو | يحت نجائبه و خيله إثره حتى يظفر بعوده. و الصحيح أن الملائكة لم تباشر القتال إلا في غزوة بدر. و قوله "كم ثبت الخ" أي كم من مرة ثبت | في مواقف الحروب التي تكل الأذهان دون وصفها و شدة وطيسها مثل حنين و أحد و نحوهما أمنا مطمئنا غير متهيب و لا مروع واقفا وقوف من سحب ذيل التبخر لأمنه و عدم اكترائه من العدو. و قوله "كم" المراد دائما أي في حروبه كلها و كني بسحب الذيل عن عدم مبالاته | بعدد

الكفار و لا عُددهم لأنه سحبه حقيقة. و أول من أطال ثيابه و سحبها قارون ذكره الثعالبي¹¹⁹ في "لطائف المعارف". و قوله "تكل" يقال كل السيف إذا نبأ و كل الذهن إذا لم يحط بوصف الشيء و وقف دونه.

بَسْتُونُ رَمَاحِ الْأَبْطَاحِيِّ الْأَنْصَارِ دَعَاثُ * مَنْ مَالِ أَهْلِ الرَّدَى
تَوَلَّاتِ غُنَايِمِ

فِي نَصْرِ الدِّينِ طَائِفَةُ الْأَسْلَامِ سَعَاثُ * حَتَّى بَلَّغَتْ بِسَعْيِهَا الْعِزَّ
الدَّائِمِ

الْأَنْصَارِ وَفَاتِ كُلَّمَا وَعَدَتْ وَرَعَاتِ * ذَمَّتْهَا مَا تَشَانُهَا لَوْمَةٌ
لَايِمِ

شَدَّتْ رَهْطُ النَّبِيِّ عَلَى الرُّوسِ عَمَائِمِ

يعني الأنصار دعوا الناس للدين و قاتلوا من أباه برماح النبي | و "الابطحي" نسبة لأبطح مكة كما مر. و تولت عليهم من مال "أهل الردى" أي الكفر غنائم لا تحصى و سعوا في نصر دين الله فبلغوا بذلك العز الدائم في الدنيا و الآخرة. و أول من اتخذ أسنة الحديد ذو يزن الحميري و كانت قبله بقرون البقر الوحشية و لما قتل النبي | أبا عزة في حمراء الأسد جعل رأسه على رمح و أرسل به إلى المدينة. قاله السيوطي في كتاب "الوسائل إلى

أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة 429هـ.¹¹⁹

معرفة علم الأوائل". و قوله " الأنصار وفات الخ" يعني أن الأنصار و هم الأوس و الخزرج وقوا بكل ما وعدوا به النبي | و بايعوه عليه ليلة العقبة كما مر . و رعوا ذمتهم و حفظوا عليها فلم يثن عرضهم لوم لائم و أراد بالرهط آل النبي | و المراد بالعمائم عمائم الفخر و السيادة و العز و هي جمع عمامة. تتبيه: أول من لبس العمامة ذو القرنين أخرجه أبو الشيخ عن وهب بن منبه.

قال الناظم رحمه الله:

عَمَدَتِ سَيُوفُ الْحَرْبِ أَهْلُ الْعِنَادِ وَ اسْتَلَّ * لَلْقِصَاصِ أَحْمَدُ وَ
لَذَاتِ الرَّشَادِ سَيْفُهُ
أَيْنَ ذَاكَ الْحَرْبِ الْمَخْذُولِ بَادٍ وَ اخْتَلَّ * وَ انْتَهَضَ لِلطَّاعَةِ
مَنْقَادًا بَعْدَ حَيْفِهِ
صَبَّحَ الصَّمْصَمَامَ لَجْمَعَ الصَّحِيحِ مُعْتَلَّ * لِلْحَبِيبِ الْمَهْجُورِ
ضَحْكًا مَنَى وَ حَيْفُهُ

معنى "و لذات الرشاد" أي لإصلاح الملة صاحبة الرشاد ضد الغي و "المخذول" الذي لم ينصر و "اختل" من الخلل و هو الضعف و "الحيف" الظلم و الجور و "الصمصام" السيف الذي لا يينثني و الصمصمة سيف عمرو بن معدي كرب الزبيدي و "الخيف" موضع بمنى عند منقطع الجبل به مسجد مشهور و

"مَنَى" لغة في منى و المراد بضحكها أنهما صارا دار طاعة له
| قد صفتا من دنس الكفر و طهرتا من رجس الأوثان و الجمع
الصحيح عند النحاة هو الذي لم يكسر أي لم يجمع جمع
تكسير. ثم ذكر غزوة الفتح.

قال الناظم رحمه الله و رضي عنه:

طَارَتْ عَقُولُ أَهْلِ الْهَجْرَةِ بَغَاتِ الْأَوْطَانِ * كُلُّ صَادِمٍ نَادَاهُ مَنْ

الْعَرِينُ شَبَّهَهُ

بَعْدَمَا مَاتَ مَنْ الْكُفَّارِ كُلِّ شَيْطَانٍ * وَ انْقَطَعَ بِالْمَبْتُورِ نَهَارٌ

بَدْرٌ حَبَّه

"طارت" أي تشوّقت و "أهل الهجرة" هم المهاجرون الذين هجروا
من مكة للمدينة و "الاطوان" مكة و "الصادم" هو الذي يلقي
الأبطال و يصادمها في الحرب و "العرين" بيت الأسد و "الشبل"
ولده و الشيطان من الجن مردتهم و قد يخص بإبليس من شاط
إذا احترق أو من شطن إذا بعد. و "المبتور" السيف المقطوع
الرأس. و أراد بـ"الحبل" العنق أو الوثيق و هو عرق بالعنق إذا
قطع مات صاحبه و هو الوريد. أي أن عقول المهاجرين
تشوّقت و حنّ كل واحد إلى أهله و ولده بمكة كزيد ابن أرقم و
غيره و ذلك مما رأوا من النصر و الظفر فأحبوا غزوتها و فتحها

ليجتمع شملهم و بعد ما مات من كفار قريش كل شيطان من
أبطالهم ببدر و غيرها.

قال الناظم رحمه الله و رضي عنه:

أَيَّامُ الْفَتْحِ عَنْ رُضَى جُمْلَةَ الْأَحْبَابِ * الْأَنْصَارِ السَّابِقِينَ

لِلدَّعْوَةِ الْأَنْصَارِ

مَنْ فَتَحُوا بِالْقَنَا الْمُعَلَّبِ كَمْ مِنْ بَابٍ * وَ ارْتَعَدَتْ مِنْهُمْ الطَّوَايِفُ

فِي الْأَمْصَارِ

وَصَلُّوا مِمَّا انفصلَ زَمَانُ الْكُفْرِ سَبَابٍ * وَ لَا زَالُوا الْيَوْمَ فِي

غَيُونِ النَّاسِ ابْصَارِ

سَأَلَ الذُّكْرَ الْحَكِيمَ يَحْكِي لَكَ مَا صَارَ

يعني أن غزو مكة و فتحها كان عن رضا جميع الأحباب أي
أصحاب رسول الله | و هم الأنصار السابقون لدعوة الإيمان من
المهاجرين و من الأنصار فالمراد بالأنصار هنا مطلق من نصره
| و كرره للوزن و الاستلذاذ و الرضا بالنصر مصدر و بالمراسم
كما في الصحاح. و "القنا" الرمح و "المعلّب" المشدود بالعلباء
بكسر العين و سكون اللام و بالباء الموحدة عصابة صفراء في
عنق البعير يشد بها قائم السيف و الرمح. و أراد بـ"الطوايف"
أجناس الكفار كمشركي مكة و فرس العراق و روم الشام و قبط
مصر و نحو ذلك. فوصلوا أسباب الإيمان و أظهروا معالمه

التي انقطعت زمن الكفر و ذلك بعد نبي الله الخليل و ابنه
إسماعيل عليهما السلام فلم يزل فعل الصحابة رضي الله عنهم
الذي فعلوه و وصلهم الذي وصلوه نور يستضيء به الأنام كما
يستضيئون بنور أبصارهم و هذا معنى قوله " و لا زالوا اليوم
الخ". و انظر الذكر الحكيم و هو القرآن العظيم يقص عليك
خبرهم مجملا و مفصلا.

قال الناظم رحمه الله:

فَتَحَّ مَكَّةَ هُوَ الْعِيدُ الْفَضِيلُ الْأَكْبَرُ * وَ مَا بِحَالِهِ فِي أَيَّامِ الدَّهْرِ

مُوسِمٌ سَعِيدٌ

حَسَّتْ فُرَيْشٌ بُدَاهَا مِنْ فُسَادِ خَيْبَرَ * لَكِنْ التَّوْفِيقُ عَلَيَّ مَنْ

يَعَانِدُ بَعِيدٌ

دَبَّرُوا وَ اللَّهُ هُوَ الْفَاعِلُ الْمُدَبِّرُ * رَمَى بَعْشَرَ أَلْفَ الْكُفَّارِ وَعَدَّ

وُ وَعِيدٌ

قوله " ما بحاله" بمعنى ما مثله و قوله " حسَّت الخ" يعني أن
قريشا تيقنت بخرابها لما ظفر | بخيبر و علموا أنهم غير مانعين
لأنفسهم كعدم منع أهل خيبر لأنفسهم و من حقهم حينئذ أن
يتركوا مما هم عليه من الكفر و العداوة لكن توفيق الله بعيد من
أهل العناد مثلهم و قد دبروا فيما ينجيهم منه | فلم ينفعم و إنما
المدبر هو الله تعالى و من جملة تدبيره سبحانه و توفيقه أنه رمى

كفار قريش بعشرة آلاف مقاتل نفرت مع نبيه | فملكوا مكة
فصارت دار إسلام إلى الآن و بعد الآن و عنى بقوله "وعد و
وعيد" قوله تعالى ﴿سيهزم الجمع﴾¹²⁰. إنه وعد للنبي | بالنصر
و وعيد لقريش بالخذلان.

قال الناظم رحمه الله و رضي عنه:

بَعْدَ غَزْوَةِ بَدْرِ الْكُبْرَى انْغَلَقَتْ اَرْهَانُ * وَ الْمَرَاهِفُ مَنْ قَطَعُ

السَّائِفَاتُ مَلُّوا

عَزَّ مَنْ عَزَّهُ اللهُ وَ اَمْسَى الدَّلِيلُ مِنْهَا * مَا يَفْصَلُ مَنْ اَنْعَمُ

عَلَيْهِ مَا اَجْمَلُ لَهُ

غزوة بدر الكبرى كانت عام اثنين و الصغرى بعدها فالأولى من
التي قتل فيها من الكفرة سبعون و أسر سبعون و الثانية لم يقع
فيها قتال و قوله " انغلق الخ " من غلق كفرح يقال غلق الرهن
إذا استحقه مرتتهنه و ذلك إذا لم يفكه الراهن في الأجل أي أن
أرهان الكفار استحقها مرتتهنها بعد غزوة بدر الكبرى التي مات
فيها صناديدهم و "المراهف" السيوف الرقاق و السكاكين و يقال
لها الأسل أيضا بفتح الهمزة و السين و منه قول عمر رضي الله
عنه " لنترك لكم الأسل " و في "الضياء"¹²¹ "الأسل شجرة الرماح

¹²⁰س.54/آ.45.

¹²¹ " ضياء القابوس على كتاب القاموس " من تأليف أبي راس.

و يقال لكل نبت له شوك طويل ه". و قوله "ملّوا" أي ملّت و لو
لا أنه التزم في هذه القصيدة ما لا يلزم لكان الصواب "قلّت" من
الفلول و هو الإثلام.

قال النابغة:

و لا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب
و "السالفات" جمع سالفة و أصلها لغة مقدم العنق و المراد هنا
العنق جميعه و السوالف ما طال من نصال السهام و قد عزّأ
من قضى الله بعزّه و حصلت الإهانة و الذل لمن قضى الله بذله
و إهانته كما قال فيه أبو عزة الجمحي:

فإنك من حاربتك لمحارب * شقيّ و من سالمته لسعيد
و قوله "ما يفصل الخ" معناه لا يقدر من أجمل الله عليه نعمه
أن يفصلها و لا يطيق من سخط الله عليه أن يفصل ما أجمل
الله له من ذلك.

قال الناظم رحمه الله و رضي عنه:

بَاكِرٌ وَسَمُّ الْمُهَاجِرِينَ رِيَاضُ الرَّهْرِ * رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ قَوَاعِدُ

الْإِسْلَامِ

نَاسٌ إِنْ خَلَّوْا كَالْعُقُودِ تَرَاقِي الدَّهْرِ * فِي ذَاتِ اللَّهِ شُدَادٌ مَا

يَخْشَاوَا مَلَامَ

دَخَلُوا بِالْمَشْرِفِي مَنَازِلَ مَكَّةَ قَهَزَ * وَ نَسَاتُ فَرِيَشَ كُلَّمَا صَغَعَتْ

الْأَحْلَامُ

عَزَفَتْ طَهَ وَ لَا بَقَى لِلْغَيْرِ كَلَامَ

"باكر" أتى بكرة و "الوسم" مطر الربيع الأول و "رياض الزهر" المراد به هنا الدين و رسومه و المراد بـ"المهاجرين" هنا ما يعم الانتصار أيضا و هو ظاهر و "التراقي" جمع ترقوة و هو العظم الذي في أعلى الصدر تلاصقه اللبّة و معنى "ذات الله" ما هو من جانب الله تعالى من نصر دينه و أنبيائه و "المشرفي" منسوب إلى مشارف و هي قرية من قرى العرب تدنو من الريف يقال سيف مشرفي و لا يقال مشارفي لأن الجمع لا ينسب إليه إذا كان على هذا الوزن فلا يقال جعافري و لا مهالبي. قال امرؤ القيس:

أبوعدني و المشرفي معانقي

و قال المري¹²² العجلي:

عشية لا تغني الرماح مكانها * و لا النبل إلا المشرفي

المصمم

"المصمم" الماضي من صم السيف إذا مضى في العظم و أضغاث الأحلام أخلاط الرؤية التي لا يصح تأويلها و قوله

¹²² و هو الحصين بن حمام المري.

"ناس" أي هم ناس تركوا تراقي الدهر تظهر لرائيها كأنها عقود
 جواهر لكثرة ما طرقوه من المن و كونهم لا يخشون في الله لومة
 لائم فقد دخلوا بالسيف ديار مكة قهرا من الطريق التي دخل
 عليها خالد بن الوليد رضي الله عنه و نسيت قريش كل ما كانت
 تتحدث به من التهافت الذي هو كأضغاث الأحلام و ما كانت
 تتمنى بل عرفت طه | و لم يبق لهم و لا لغيرهم كلام. المراد
 تحققوا بأنه رسول الله و لم يبق لهم طعن فيه | مثل قولهم
 الماضي أنه شاعر و نحوه كما مر في اجتماعهم في دار الندوة
 وقت الهجرة و لم يبق لهم كلام في إتباعه | بل أطاعوه حق
 الطاعة و لا لغيرهم أيضا من العرب لأنهم لما سمعوا به | فتح
 مكة قهرا أنته وفود العرب كلها مسلمين حتى أنهم سموا سنة
 تسعة سنة الوفود و قد قال الشاعر:

و خبرها الركبان أن ليس بينها * و بين قرى بصرة و نجران
 كافر

تنبيه: في قول الناظم "و لا بقى للغير كلام" إيماء لطيف بأن
 المقصود من القصيدة قد تمّ كما يدل عليه قول الناظم رحمه الله
 و رضي عنه:

رُفَّتْ قَصِيدَةُ بُوَعَثْمَانَ كَالْخُرَيْدَةِ * لِلْبَسَاطِ عَلَيْهَا لِلنَّاظِرِينَ
 رَوْنَاقُ

يَا لَهَا مَنْ حُلَّةٌ فِي عَصْرِنَا فُرِيدَةٌ * دُونَهَا كَفُّ الْفَخْرِ بِرَاجِمٍ

الْخُدْرَنْقُ

حِينَ يَرْسَلُ طَرْفُهُ مَا تَسْبِقُهُ طُرِيدَةٌ * يَصُوبُ لَهَا كَالْفَتْحِ

الضَّارِي الْخُرْنَدَقُ

يقال "زقت" العروس لزوجها إذا حملت له للدخول و "الخريدة" هي البكر التي لم تمس و قوله "لبساط" متعلق بـ"زقت" أي زقت كالخريدة التي زقت للبساط لأنهم في بيت الزوج يهيئون لها البسط العجيبة و "المخاد" الغريبة على أسرة أنيقة في غرف رشيقة. و "أبو عثمان" هو كنية الناظم رحمه الله و اسمه سعيد و "الرونق" الحسن و البهاء أي أن عليها بهاء و حسنا للناظرين كقولهم "يزيدك حسنا كلما زدته تنظرا". و قوله "يا لها" كلمة تعجب و "الحلّة" عند العرب ثوبان و معنى "فريدة" لا شبيه لها بمعنى تفردت بالحسن و "البراجم" مفاصل الأصابع و "الخدرنق" العنكبوت و يقال لها أيضا الهبون و الرتيلة. و قوله "براجم" بدل من "كف الفخر" أي أن كف أي يد الخدرنق عاجزة عن نسج مثل هذه الحلّة بل نسجها دونها على حد ما مرّ له في قوله "دون بردي سندس عبقري و حوك صنعا". و "الطرف" بالكسر الفرس الكريم و "الطريدة" المطرودة من أوارب الصيد أي أنه إذا

أرسل فرسه في الجري ما تفوته طريدة من أنواع الوحوش. قال الشاعر¹²³:

سرينا و نجم قد أضاء فمذ بدا * محيّاك أخفى ضوءه كل شارق
و قوله "يصوّب" من التصويب يقال صوب له السهم إذا وجّهه
إليه و "الفتح" مجرى النصل من السهم و "الظاري" بالطاء
المشالة من ظرى يظري إذا جرى أي أن ذهب الناظم يصوّب
لتحصيل المعاني كما يصوّب فتح السهم الظاري "الخرندق" و
هو الفتى من الأرنب فيصيبه و يقتنصه.

تنبيه: القصيدة هي ما يفوق العشرة أبيات و ما دونها يقال له
قطعة و أول من عمل القصائد مهلهل بن ربيعة و لم يقل أحد
قبله عشرة أبيات و في الأغاني هو أول من كذب في شعره و
هو خال امرؤ القيس.

قال الناظم رحمه الله:

المُعَانِي مَطْرُودَةٌ وَ العُقُولُ بِيْرَانُ * مِنْهُمُ أَرْضِي وَ البُعْضُ مَنْ

السَّحَابُ تَزَلُّوا

مَا يَحْرَرُ مَعْنَى مَنْ لَا فَالْعُرُوضُ وَرَّانُ * كُلُّ مَتَصَنِّعٍ يَنْخَبِلُ

عَلَيْهِ عَزْلُهُ

¹²³ راشد بن عبد ربه.

شبه المعاني بالصيود المطرودة و العقول بالبيزان الصائدة لها و هي على قدر قوتها فمنها "الأرضي" الذي لا يصيد إلا صيود الأرض من أرنب و غيرها و منها السماوي الذي لا يصيده إلا الطير مثل الحبارى فكذا العقول منها القاصر لا يأتي إلا بالمعنى الركيك و منها القوي الذي لا يأتي إلا بالمعنى الشريف و المبنى الظريف. و قوله "ما يحرر الخ" أي أن من كان متكافا للشعر متحاملا عليه فإذا أراد أن يقول شعرا تجده يزنه على المقاييس العروضية فهذا لا يأتي بمعنى محررا أبدا لكونه قصر همته على اللفظ و غفل عن المعنى فتصنعه هذا يخبل عليه غزل نسجه شعره و أما من كان الشعر له طبعا فهو الذي يحرر المعنى و يؤسس المبنى بمعنى لائق و لفظ رائق.

قال الناظم رحمه الله و رضي عنه:

الْوَزْنُ لَقِيَ الْعَصَا عَلَى بَابِي وَ ارْتَاخَ * مَا يَنْصُرُنِي إِذَا نُرُومُ

الشَّعْرُ خَلِيلُ

حَضَرْتُ عَيْنَ الْيَقِينِ وَ التَّرْدِيدُ التَّاحَ * وَ اضْحَى عَنْهُمْ مَنْ

الْمَدَاهِبِ فِيهِ دَلِيلُ

مَدَّيْتُ كُفَافَ فَقَرٍ وَ اغْنَانِي الْفَتَّاحَ * عُمْرِي مَا نَنْتَظِرُ مَنْ

النَّاسِ التَّغْلِيلُ

صَرَفَ سَقَانِي بَحَّاسَ مَنْ الْوَدُّ جَلِيلُ

أي أن الشعر ألقى عصاه على بابي أي سهل علي فلا استنصر
على ذلك صاحباً و "عين اليقين" العلم المشاهد و "الترديد" أي
الشك "التاح" أي رمي وراء الظهر و صار عنهم فيه من
"المذاهب" أي فنون الشعر أدلة قاطعة و براهين ناصعة و في
بعض النسخ من المواهب أي مواهب الله تعالى و عطياه حتى
صرت إذا سألت عن شيء منه لا أسأل من سائلي الإمهال و
أعلاه بالأباطيل بل أجيبه بديهية

و قوله "صرف الخ" أنه تعالى سقاني بكأس وده الجليل و محبته
صرفاً أي خمرًا غير ممزوجة بماء من خمر المحبة الربانية. قال
الناظم رحمه الله:

زَامَ رَعْدُ الْمُنْدَاسِي تَحْتَ ظِلَّةِ الْغَيْمِ * مَنْ دَرَى وَيْنِ سَقَاتِ أَهْلِ

الْهُوَى امْطَأْرَهُ

مَالَتْ عَيْونُ النَّاسِ مَعَ سَنَاةِ بَالِشَيْمِ * فِي هَوَاهُ الْعُشَّاقِ بَلَا

جَنَاحَ طَأْرُوا

أَشْرَ رَأَى فِي الدُّنْيَا مَنْ لَا يِرَاقِبُ الدَّيْمِ * طُولَ لَيْلِهِ مَا قَضَى فِي

الْهُوَى اوْطَأْرَهُ

"زَام" أي تكلم و "المنداسي" نسبة إلى منداس و هي أرض
معروفة شرقي نهر مينا أحد أنهار المغرب الوسط و سمي
منداسا باسم ساكنه من البربر له خمسة أولاد كثرت ذريتهم في

ذلك الموضوع و انتشرت فأزالتهم عنه لواتة و بنو وزدجير و مغراوة فذهبوا إلى جبل ونشريش فتوطنوه و بنو مندبل و غيرهم من البرابر التي هناك من ذرية منداس و الله أعلم. و يقال أن نسب الناظم رحمه الله من سويد بن مالك بن زغبة من بني هلال أحد بطون هوازن من قبائل مضر بن نزار بن معد بن عدنان. و "ظلة الغيم" أول سحابة تظل منه و استعار الرعد لشعره و شبهه في انصباب المطر و هطله و "السنا" بالقصر الضوء و "الشيم" النظر إلى البرق أين تمطر سحابه و "الديم" واحدها ديمة المطر الذي لا رعد فيه و لا برق و أقله تلت النهار كما مر. و مر معنى الهوى و "الاورطار" جمع وطر الحاجة.

تنبه: أول من تكلم بالشعر آدم فقال لما قتل هابيل:

تغيرت البلاد و من عليها * فوجه الأرض مغبر قبيح

تغير كل ذي لون و طعم * و قلّ بشاشة الوجه المليح

و يقال أن العشب التي تغير طعمها و التي جعلت الشوك من ذلك الوقت. و أول شعر قيل في العرب على ما قال صاحب "اللباب"¹²⁴:

حثوا المطايا و أرخوا أزمتها * قبل الممات و اقضوا ما تقضونا

كنا أناسا كما كنتم فغيرنا * دهر فأنتم كما كنا تكونونا¹²⁵

¹²⁴ و هو كتاب السيوطي " لب اللباب في تحرير الأنساب".

و أوّل شعر قيل في الإسلام قول ضرار بن الخطاب:
تداركت سعدا عنوة فأسرته * و كان شفاء لو تداركت منذرا
فلو نلته طلّت دماء جراحه * و كان حريا أن تطل و تهدرا
و أوّل من عمل الموشحات ابن عبد ربه صاحب العقد و كان
أدرك أوّل القرن الرابع.
قال الناظم رحمه الله:

دِيمَةٌ سَعِيدِ الْوُطْفَا الْوَاكْفَةَ لَهَا شَانُ * حِينَ يَهْطَلُ غَيْمُهُ يَسْنِي
الْوَعْرُ وَ سَهْلُهُ
لَوْ لَحَنَ بُو عَثْمَانَ اللَّفْظُ قَطُّ مَا شَانُ * وَجَهُ مَعْنَى سَأَلَ عَلَى
كُلِّ مَدْخَلٍ اهْلُهُ

"سعيد" اسم الناظم و "أبو عثمان" كنيته و اسم أبيه عبد الله منداسي الأصل و نشأ ببنلمسان ثم ذهب للمغرب و "الوطفا" المنهمرة و "الواكفة" القاطرة و الهطل تتابع المطر جمعه هواطل و مفردة هاطلة فكني بذلك عن كثرة قصائده و براعتها و إنه ينتفع بها الخاص و العام و هو المراد بـ"الوعر" و "السهل" حتى أنه لو لحن اللفظ فما ذلك لعدم مخرجه من النحو بل ليفهمه جميع الناس و ينتفعون به على أنه لم يشن وجه المعنى و لا

¹²⁵ قاله عبد المهيمن الحضرمي.

يغيره بل يأتي بالمعنى تاما و أسأل عن كل شيء أهله إذا أردت
الدخول فيهدوك إلى سبيل الرشاد و يبينوا لك السداد .

لطيفة: لقي أبو نواس أبا العتاهية فقال له كم تقول في اليوم من
الشعر قال المائة بيت و نحوها فقال له إذا كان كقولك:

يا عتبة ما لي و ما لك * يا عتبة إذا أهوى لك

لا أعجز عن الألف و الألفين في اليوم و لو قلت:

من كف ذات حرّ في زيّ ذات ذكر * لها محبّان لوطيّ و زنّاء
فلأعجزك ذلك عن العشرة. فأسكته و لم يجد جوابا و عتبة
جارية المهدي الخليفة كان يعشقها أبو العتاهية.

قال الناظم رحمه الله و رضي عنه:

أَرْفَعُ بَصْرَكَ تَرَى الْغَزَالَ تَرَعَى اللَّيْلُ * بَثْنَايَا الْحُسْنُ كَيْفَ تَقْطَفُ
أَنْوَارُهُ

وَ تَشُوفُ بَنَاتُ نَعَشْنُ فِي الْجَوْ لَهَا مِيلُ * فِي فَلَكِ الْإِ تَصِيفُ

بَسْنَا دَوَارُهُ

هَبْ نَسِيمِ الصَّبَاخِ وَ الْفَجْرِ ارْحَى نَيْلُهُ * ضَمَّ حَبِيبِكَ بَرْدُ عَلَى

الرُّنْدُ سَوَارُهُ

مَنْ لَا يَبِيَّتُ الْحَبِيبُ تَصْبَحُ الدَّارُ بَوَارُهُ

كنى بهذه الأبيات عن تمام قصيدته و طلوع فجر كمالها و
"الغزالة" الشمس يقال لها أيضا فرح و جون و المهابة و غير ذلك

مما جمعناه في كتابنا " الحلل الحريرية في شرح المقامات الحريرية". و معنى رعيها الليل طلوعها شيئا فشيئا و شبه اختفاء الكواكب بظهور نورها بغزالة أي ظبية تقطف النوار أي تأكله فيه من الاستعارة المكنية العجيبة ما لا يخفى و إثبات الثنايا لها تخيلا لأنه هو اللازم. و "بنات نعش" نجوم معلومة قرب القطب الشمالي و قوله "لها ميل" أي حين تميل عن مركزها في الفلك الذي لا يتصف من يدوره بقدرته بسنة و لا نوم فتبارك الله أحسن الخالقين و قد استعار نسيم الصباح و طلوع الفجر و إرخاء ذيله لإمارة التمام و لما أوهم أنه يريد الصباح الحقيقي أتى لذلك بما يرشحه بقوله " ضم حبيبك " إليك و مس سواره تجده باردا و ذلك من علامات الصبح و أفهم كلامه أن مخاطبه قد بات معه فظفر بغاية اللذة أي من لم يبيت حبيبه معه يصبح في دار البوار و الخسران. و "الزند" يقال للساعد أيضا.

قال الناظم رحمه الله و رضي عنه:

انْتَهَى مَقْصُودِي بِتَمَامِ ذَاتِ الْأَكْمَامِ * صَرَحَهُ الْبُسْتَانُ الشَّيْمَا

مَسْرَةَ الْعَيْنِ

مَائِسَةَ الْأَعْطَافِ كَرِيمَةَ أَخْوَالِ وَ عَمَامِ * مَا يَخْلَصُهَا عَدُّ مَنْ

اللَّجِينِ وَ الْعَيْنِ

صُنَّتْهَا وَرَعِيَتْ لَهَا كُلَّ حَقٍّ وَذَمَامٍ * صَوْنٌ حُورَةٌ مَقْصُورَةٌ مَا
تُشِينَهَا عَيْنٌ

"ذات الاكمام" النخلة الكريمة و "الاكمام" أوعية طلعتها و
"الصرحة" الشجرة الطويلة التي لا شوك فيها كالبستان و نحوه و
"الشيما" من الشمم و هو الارتفاع و أصله لغة ارتفاع قسبة
الأنف و "المایسة" المتمايلة بتبخر و "الاعطاف" الجوانب شبهها
بغيدة جميلة اشتهرت بهجة شبابها. قال جرّان العود و اسمه
عامر بن الحارث:

و إن من النساء من هي روضة * تهيج الرياض قبلها و

تصوّح¹²⁶

و قوله " كريمة اخوال و عمّام" أي أنها شريفة الأصلين لا طعن
في نسبها كما أن هذه القصيدة شريفة المعنى و المبنى لا طعن
فيها. قال الفرزدق يمدح الوليد بن عبد الملك بن مروان:
إلى ملك ما أمه من محارب * أبوه و لا كانت كليب تصاهره
و قال لآخر:

خالي لانّت و من جرير خاله * ينال السماء و يكرم الأخوال

¹²⁶ و في المراجع الأدبية: "و لسن بأسواء فمهن روضة * تهيج الرياض غيرها لا
تصوّح".

و "اللجين" الفضة و أراد بـ"العين" هنا الذهب و إن كان لفظها يشمل النقدين أي أن هذه القصيدة لشرفها لا تشتري بفضة و لا ذهب لعدم بلوغها كنهها و قد جرت عادة الشعراء في مدح قصائدهم كقول ابن حيان مخاطبا لشيخه أبي جعفر بن النحاس رحمهما الله:

أبا جعفر خذها قوافي من فتى * تتيه على كل القوافي قصائده
بديعة شكل كم لها من غرائب * مجيدة أصل أنتجتها أما جده
و كان أبو العلاء المعري إذا نظم قصيدة سماها اليتيمة بمعنى
عديمة المثل و قوله " صنتها" أي نزهتها عن العيب و رعيت
لها كل حق يجب لها من الجزالة و إقامة الوزن و نحو ذلك. و
"كل ذمام" أي حرمة و وقار كما تصان الحور القاصرة الطرف
التي لا تشينها عين عائن آخر و لا سحر ساحر.
قال الناظم رحمه الله:

حُلَّتِي السَّعْدِيَّةُ بِهَا سِرَاتُ رُكْبَانٍ * مَا كَسَاتَ بُخَيْلٌ إِلَّا جَادَ بَعْدَ

بُخْلُهُ

عَامَ فَحَشْ مِنْ الطَّيِّ بِرُزَّتْهَا بِشَعْبَانَ * فَازَ مَنْ بِهَا فِي بَيْتِ

السُّرُورِ يَخْلُو

المراد بـ"السعدية" المنسوبة له رحمه الله لأن اسمه سعيد أو المنسوبة للسعد ضد النحس أو لسعيد بن العاص رضي الله عنه

لأن النبي | أعطاه حلة فبقيت عند عقبه يتبركون بها و شاعت
بركاتها فصار الناس ينسبون إليها و قد أشار إليها أبو محمد
الحريري في مقاماته أو أراد ضربا من برود اليمن يسمى بهذا
الاسم. و قوله "عام فحش الخ" أي أنه أبرز قصيدته هذه من
طي العدم في شعبان سنة ١٠٨٨

ثمان و ثمانين و ألف نقط حروف فحش لأن الفاء بثمانين و
الحاء بثمانية و الثنين بألف. فيا فوز من "يخلو" أي ينفرد بها
في بيت سروره فيتأمل معانيها و يعمل بالمواعظ التي فيها و
أدب المحبة الإلهية.

قال الناظم رحمه الله و رضي عنه:

هَآكْ مَنْ الْبُرْهَمَانِ يَأْفُوتَةَ حَمْرًا * فَصَلَّ دُرَّ الْبَيَانِ بِهَا يَا رَاوِي
أَرَقَّ مَنْ النَّسِيمِ وَ اعْدَبْ مَنْ خَمْرَةَ * رَوْنَقَهَا الْفَائِقُ الْبُدَيْعِ

الزَّهْرَاوِي

فِي نَحْرِ الدَّهْرِ شَاعِلَةٌ مِثْلُ الْجَمْرَةِ * تَفْنِي الْعُشَّاقَ مَا تَخْلِي

عَدْرَاوِي

مَا ضَمَّتْ مِثْلَهَا خِرَانَةَ مَغْرَاوِي

"الياقوت البرهماني" أشرف اليواقيت و هو الأحمر الرماني نافع
للسواس و الخفقان و ضعف القلب شربا و جمود الدم تعليقا. و
يقال المرهمان أيضا بالميم بدل الباء و منه قولهم " داوي مرهم

ذنبك بالتوبة". و البرهمان أيضا العصفور و الحنّاء و البرهمة
 زهر النوار و الدّر معروف. و "البيان" على حذف مضاف أي
 درّ عقد البيان أي أجعلها واسطة لأبيات عقود در البيان. و
 "النسيم" أوّل هبوب الريح بلين و "الخمرة" من الخمر المعروف و
 "الرونق" الحسن و "الزهرابي" المنسوب للزهر الينفور¹²⁷ و نحوه
 و المعنى أن رونق هذه القصيدة الفائق على غيره البديع في
 شكله "الزهرابي" في جماله أرق من النسيم و أعذب من الخمرة
 الطيبة اللذيذة و تشعل و تضئ في نحر الدهر كأنها جمرة من
 النار و تقتل بتهييج عشقها جميع العشاق و تقنيهم إذا سمعوا
 ألفاظها و سارت معاني تغزلها فيهم و ما تترك منهم "عذراوي"
 أي منسوب لبني عذرة و هم قبيلة من قبائل عرب اليمن يموتون
 بالعشق. و قد سؤل رجل منهم عن سبب ذلك فقال " في نسائنا
 صباية و في رجالنا عفة و رقّة قلب فلذا نموت بالعشق". و قد
 بسطنا الكلام عليهم في شرحنا لمقامات الحريري أنظره إن شئت.
 لطيفة: وضع رجل بسفاقص نارنجة في حلق زجاجة بلور و سأل
 الغراب¹²⁸ تشبيها فقال:

و نارنجة في حلق بلورة بدت * لها منظر قد راق كل لبيب

¹²⁷ ربما أراد " النيلوفر" (le nénuphar).

¹²⁸ و هو الشاعر علي الغراب الصفاقسي المتوفى عام 1183هـ.

فشبهتها إذا راقني حسن وصفها * بدينار إبريز في ثغر حبيب
و قوله "ما ضمت مثلها" أي ما جمعت مثلها خزانة "مغراوي"
تعريضا بالشيخ أبي فارس عبد العزيز المغراوي الفصيح
المشهور رحمه الله بأنه لم يقل مثلها منذ شرع في نظم القصائد
و يحتمل أنه أراد غيره أي أن هذه الياقوتة التي شبه قصيدته بها
لم تضمها خزانة مالك من ملوك مغراوة لأنهم كان لهم ملوك
كثيرة مشهورون كأولاد عطية بفاس في القرن الرابع منهم زيري
بن عطية الذي بنا وجدة سنة أربع و ثمانين و ثلاث مائة و نقل
ذخائره إليها و منهم بنو الفلفل بسجلماسة و بنو الفرطاس
بالبصرة التي خربت الآن و بنو الخير بوهران و بنو بختي
بتلمسان و بنو منديل بمارونة و بنو وارسيفن بمليانة و بنو
خزرون بطرابلس. فالخزانة على الأول المراد بها خزانة العلم و
على الثاني خزانة المال و هي بكسر الخاء و من التورية اللطيفة
قولهم "الخزانة لا تفتح" لكن يرجح الاحتمال الأول ما روي أن
الشيخ سعيد لما قال ما مر نام فرأى في نومه الشيخ عبد العزيز
و هو غضبان عليه و أدبه فلما استيقظ عبر الرؤية بأن سبب
ذلك الذي لقيه منه في النوم إنما هو لقوله "ما ضمت مثلها
خزانة مغراوي" ثم أنه مدحه بقصيدته المشهورة التي أولها:
غيّب بو فارس الفرس كل علوم * بحر المحيط ما تنهيه قرطاس

و كان قبل الشيخ سعيد بقليل و لم يدركه لأن الشيخ سعيد مات بعد ما مرّ من تاريخ هذه القصيدة زمن السلطان إسماعيل بن علي الحسني و الشيخ عبد العزيز كان عام الإثنا عشر و الألف حيا و كان في زمن السلطان أبي العباس أحمد المنصور المعروف بالذهبي السعدي و كان من خاصته و لما مات السلطان في العام المذكور رثاه بقوله رحمه الله تعالى:

ذا الزمان رمانى قوسه بسهم غصّاب * ما اخطاني صادف قلبي
و لوحه

بعد مكّني جاني بسيف غلاب * هدّني و هزم ديواني و جيّحه
لاش ساكت يا من فارقت جمع الاحباب * هات راسك ليّ و
اجي نوحوا

عام شايب مات الذهبي اخيار الاتراب * ما بقى للسعدية باش
يرجحوا

و هي طويلة و أشار بقوله "و هزم ديواني و جيّحه" إلى أولاد السلطان المذكور كزيدان و محمد الشيخ و الحرّان و غيرهم فإن الملك ضعف في أيامهم مع عظمة أيام أبيهم لاتصال الفتن بينهم حتى كان ذلك سبب استيلاء الخراب على أكثر مراكز و دخلت النصارى في أيامهم أكثر مدن السواحل مثل العرايش و

غيرها حتى ظهر السلطان إسماعيل بعد ذلك فأزالها من الكفرة و
الحمد لله. قال الناظم رحمه الله:

قَوَّتِي بِبَدِيعِ السَّبْعِ الشَّدَادِ وَ الْحَوْلِ * نَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ مَنْ
سَخَّرَ الْقَوَافِي

مَنْ خَلَقْتَنِي وَ هَدَانِي لِلْبَيَانِ ذَا الطُّوْلِ * وَ اسْبَعُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَاهُ
ثَوْبٌ وَافِي

وَ الصَّلَاةَ عَلَيَّ الْهَادِي مَا تَرَاكُمُ الْقَوْلُ * مَنْ كُنُوزَ عَلَيَّ الْمَعْنَى
الضَّالَّةَ خَوَافِي

مر معنى "الحول و القوة" و "القوافي" جمع قافية و هي آخر
كلمة في البيت أو آخر حرف فيه إلى أول ساكن يليه مع الحركة
التي قبل الساكن أي هي الحرف تبني عليه القصيدة و "البيان"
البلاغة و الجزالة و إيضاح المعنى و "الطول" الفضل و "وافي"
صفة لثوب و "السابع" بمعناه لأنه لغة الطويل الواسع و "تراكم"
أي ركب بعضه بعضا ثم أنه طلب من الله تعالى الصلاة على
رسول الله | مدة تراكم القول و تكاتفه على قلوب البلغاء من
كنوز المواهب الربانية التي هي "خوافي" أي خفية عن القوم
الضالة عن الطريق الواضحة الهادية إلى سبيل الرشاد و من
يضل الله فلن تجد له وليا مرشدا أي مدة تراكم القول على أهل
الهداية من كنوز خفيت على أهل الضلالة.

قال الناظم رحمه الله:

مَنْ عَلَيْهِ اللهُ صَلَّى فِي قَدِيمِ الْأَزْمَانِ * قَبْلَ كَوْنِ الْكَوْنِ وَ لَا
كَانَ كَوْنُ قَبْلَهُ

وَ الرِّضَا عَنْ شَيْخَيْنِ أَهْلِ الْهُدَى وَ عَثْمَانَ * خَيْرَ صَحْبِهِ وَ
السَّبْعِ الْمَوْضُحِينَ سَبْلَهُ

و قوله "قبل كون الخ" الكون الحدث الكينونة و الكائنة الحادثة و كونه أحدثه و الله الأشياء أوجدها أي قبل تكون الأكوان لأن الله تعالى أول ما خلق من الدنيا نوره | و لا كون قبله أصلا و المراد بـ"السبع الموضحين" أي المتبعين سبله هم بقية العشرة المشهود لهم بالجنة المشهورين و هم علي و طلحة و الزبير و سعد و سعيد و عبد الرحمان بن عوف و أبو عبيدة ابن الجراح رضي الله عنهم. و الأولى للناظم أن يقول بدل البيت الثاني "و الرضا عن الشيخين و علي و عثمان * خير صحبه و الست الموضحين سبله" ليذكر الخلفاء الأربعة بأسمائهم رضي الله عنهم لأنهم في الإسلام كقواعد البيت الأربع التي لا يتم شكله إلا بهم و معلوم أن المراد بالشيخين أبو بكر و عمر كما أن أفضل الأمة بعد نبينا | أبو بكر ثم عمر و توقف الإمام مالك بين عثمان و علي. هذا و قد قال ابن حجر في "الصواعق

المحرقة في الرد على أهل البدع و الزندقة" عن عياض "لم يستمر مالك على التوقف بل قال بعده عثمان أفضل ه".
 لطيفة: جاء رجل إلى معاوية فقال من أين جئت فقال "من عند العي البخيل علي بن أبي طالب" قال "ويلك أتقول هذا في رجل لو جمعت الألسن كلها ما قاومت لسانه و لو كان له بيتان أحدهما تبر و الآخر من تبين لأنفق بيت التبر قبل بيت التبن".
 قال "فعلى ما تقائله" قال "على هذا الخاتم التي من كانت بيده نفذت أموره". فذهب ذلك الرجل إلى علي فلم يزل في شيعته إلى أن مات رحم الله الجميع. و قد ألف الإمام النسائي¹²⁹ صاحب السنن كتابا في فضائل¹³⁰ علي لما دخل الشام فقيل له و لم لم تذكر الصحابة فقال إني دخلت هذه الأرض فرأيت المنحرفين عنه بها كثيرا فرجوت أن يهديهم الله بهذا التأليف.

قال الناظم رحمه الله و رضي عنه:

بجَاهَهُمْ يَا مُؤَلَّيْ لَا تَزُولُ رَحْمَانُ * لَا تُؤَكَّلُ بِنَا مَنْ رَامَنَا بِنَبِّهِ
 وَ اسْتَبَلْ عَلَيْنَا يَا رَبِّي ثِيَابَ الْأَمَانِ * يَا كَرِيمَ أَنْ يَحْيِي مَيِّتَ
 الْجُرُوزِ وَبَلِّهِ

¹²⁹ هو أبو عبد الرحمان أحمد بن شعيب المعروف بالحافظ النسائي المتوفى عام 303هـ،

أحد من أصحاب الصحاح و السنن.

¹³⁰ و عنوانه هو "خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب".

التوسل بالأنبياء صلى الله عليهم و سلم و بالصحابية رضي الله عنهم و بالأولياء نفعنا الله بهم جائز نص عليه الشيخ السنوسي و غيره و قوله "لا تزول رحمان" أي أن الله تعالى رحمته دائمة غير منقطعة دنيا و أخرى.

تتبيه: في كتاب الشهاب الخفاجي عند قول القاضي عياض في "الشفاء" في الخطبة في قوله تعالى وسع كل شيء رحمة و علما ما نصه شمول الرحمة للذات لا يصح و أن شمله العلم و شموله لما سواه ظاهر لأن كل شيء منعم عليه حتى المعذب بترك الأشد هـ. و الجروز الأرض التي لا تثبت و الجمع أجزاز و التي لم يصبها مطر و الوايل المطر الشديد الضخم القطر. قال الناظم رحمه الله:

وَ السَّلَامُ عَلَى الْهَادِي مَنْ عَشِيقُ هَيْمَانَ * مَا زَعَى شَادَنْ فِي
صَحْرًا غَيْبُ رَبُّهُ

"الهيمنان" الهائم بالعشق و "الشادن" بالمهملة القوي من ولد الظباء الذي استغنى عن أمه و "الغبيط" الأرض المطمئنة الواسعة المستوية أطرافها فهو وصف للصحراء. و "الريل" ضرب من الشجر ينفطر في آخر القيظ بعد الهيج ببرد الليل من غير مطر. هنا انتهى بنا القول فيما قصدناه من المرام الذي طلبناه.

و أحمد الله الذي هدانا لهذا و ما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله.
قد أتينا بما وعدنا فإن كنت قصرت عن نهاية * أو بلوغ غاية *
فبقدر العلم و الدراية * فهذه طاقة المقل المجتهد * و لا تجود
نفس إلا بما تجد * مع أن القلب شغيل * و الذهن كليل * و
الزمان ذو اعتلال * و ضعف أحوال * فيأتي منه النسيان و
الإغفال * و لو لم يكن إلا سكنى حاضرة كبادية * فناهيك من
معذرة بادية * لا سيما من اشتد فيها عسره * و لم يساعده دهره
* فكيف يرتفع ذهني إلى تصنيف * أو يمتد أمله إلى وضع
تأليف * قال مصعب بن سعيد حفظت عن أبي موسى عيسى بن
يونس أربعين حديثا فلما أتيت بيتي قالت لي ابنتي "الدقيق
يخصنا" نسيت عشرين و قال:

همّ الدقيق و هم الزيت والحطب * هي التي أوقعت نفسي في

العطب

فكيف تسألني عن حفظ مسألة * بمثل هذا و أن اهتترّ لطرب

و لولا القريحة ما تجرأت على وضعه * و شغلت نفسي بجمعه
* مع زيادة أن الناس داء عضال * لا يتخلص منهم على كل
حال * سهامهم مسمومة * و خلق أكثرهم مذمومة * لا
ينظرون بعين الإنصاف * و لا يملون من الانتقاد و الخلاف *

يسقون بأفواههم العسل و في قلوبهم السم الزعاف * و لم يعلم
الإنسان أن في نفسه شاغل عن تنقيص أهل الأدب * و بعد
نفسه الأمانة بالسوء عن أهل الرتب * و لو وضع يده على فيه
* و ألته المساوي التي فيه * فأعجب به من مارق * و مباين
مناق * ففي الحديث لا غيبة في فاسق * و الله يهدينا إلى
التوفيق * و سواء الطريق * فإن وجدت أيها الطالب عورة فسدها
و لا تبديها * و لك بها على يدي فتسديها * و الله المعين على
أداء حقك * و ما يقع بوقفك * إنه بذلك كفيل * و هو حسبي و
نعم الوكيل * لا حول و لا قوة إلا بالله العالي العظيم * و لله
در قول الشاعر¹³¹:

ما ثم غير الله في كل حالة * فلا تعتمد يوما على غير لطفه
فكم حالة تأتي و ينكر حالها الفتى * و خيرته فيها على رغم أنفه

تم الشرح

¹³¹ وقيل هو المفتي فتح الله.

